

كتاب التوحيد  
(كلمة الإخلاص)



## كِتَابُ التَّوْحِيدِ فَضْلُ التَّوْحِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ الْقُدْوَةُ الْحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الشَّيْخِ الصَّالِحِ الْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبِ الْحَبْلِيِّ الْبَغْدَادِيِّ أَدَامَ اللَّهُ النَّفْعَ بِهِ . آمِينَ (٢) .

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : ﴿ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَمُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ ، فَقَالَ : يَا مُعَاذُ قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ : يَا مُعَاذُ قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ : يَا مُعَاذُ قَالَ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟ قَالَ : إِذَا يَتَكَلَّمُوا فَأَخْبِرْ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا ﴿ (٣) (٤) .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَتَبَانَ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ﴾ (٥) .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ أَبِي سَعِيدٍ بِالشَّكِّ (٦) ﴿ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي [ غَزَاةِ ] تَبُوكَ فَأَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِنِطْعٍ فَبَسَطَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَرْوَادِهِمْ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ قَالَ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ قَالَ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ

- اثبتت البسملة في المخطوط وجميع النسخ ما عدا نسخة ( ز ) . وفي نسخة ( ش ) هو حسبي وبه أستعين . وباقي النسخ " وبه نستعين " ما عدا نسخة ( ز ) .

- ٢٤ كذا بالمخطوط وفي نسخة ( ش ) قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام زين الدين ابن رجب - رحمة الله تعالى - والظاهر أن ذلك من صنيع النسخ.

- ٣٤ كذا وقع في مخطوطتنا وفي نسخة ( ع ) و ( س ) وباقي النسخ ( لبيك يا رسول الله ) .

- ٤ أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٤١/١ وفي كتاب الجهاد / والسير / باب اسم الفرس والحمار ٢١٦/٣ وفي كتاب اللباس / باب

إرداف الرجل خلف الرجل ٦٨/٧ . ومسلم في كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم ( ٣٢ ) .

- ٥ أخرجه البخاري في كتاب الصلاة / باب المساجد في البيوت ١١٠/١ وفي كتاب التهجد / باب صلاة النوافل جماعة ٥٦/٢ وفي كتاب الرقاق / باب العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى

١٧٢/٧ . ومسلم في كتاب المساجد / باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر رقم ( ٦٥٧ ) ( ٢٦٣ ) .

- ٦ الشاك هو الأعمش كما في صحيح مسلم ٥٦/١ .



شَيْءٌ يَسِيرٌ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وَعَاءً إِلَّا مَلُئُوهُ قَالَ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ ﴿ (١) (٢) (٣) .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ . قَالَهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ ﴿ (٤) .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُبَادَةَ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ [ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ ] ﴿ (٥) .

وَفِي [ الصَّحِيحَيْنِ ] (٦) عَنْ عُبَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ٣٦ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ ﴿ (٧) .

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا يَطُولُ ذِكْرُهَا .

## أَهْلُ التَّوْحِيدِ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ وَإِنْ دَخَلُوهَا

- ١ كذا وقع هنا وفي بعض النسخ [ غزوة ] .

- ٢ النطع : المتخذ من الأديم - معروف - وفيه أربعة لغات : فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها . والجمع : أنطاع ونطوع . المصباح المنير ص ٦١١ .

- ٣ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم ( ٤٥ ) وأحمد في المسند ١١/٣ .

- ٤ -

- ٥ -

- ٦ أخرجه البخاري في كتاب اللباس / باب الثياب البيض ٤٣/٧ . ومسلم في كتاب الإيمان / باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة رقم (١٥٤) وأحمد في مسنده ١٦٦/٥ . يقال : "رغم أنفه رغباً" : إذا ساخ في الرغام وهو التراب ، ثم استعمل في الذل . "الفائق" في غريب الحديث للزمخشري ٦٨/٢ . والرغام : بالفتح التراب . ورغم أنفه رغباً من باب قتل ، ورغم من باب تعب . لغة كناية عن الذل ، كأنه لصق بالرغام هواناً . ويتعدى بالألف فيقال : أرغم الله أنفه وعلته على رغب أنفه بالفتح والضم . أي على كره منه . "المصباح المنير" ص ٢٣١ للفيومى .

- ٧ كذا وقع هنا وهو الموافق لما في صحيح مسلم ، وفي بعض النسخ [ حرمة الله على النار ] والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٤٧) .



وَأَحَادِيثُ هَذَا الْبَابِ نَوْعَانِ :

أَحَدُهُمَا : مَا فِيهِ أَنَّ مَنْ أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، أَوْ لَمْ يُحَجِّبْ عَنْهَا ؛ وَهَذَا ظَاهِرٌ ؛ فَإِنَّ النَّارَ لَا يَخْلُدُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ ، وَقَدْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَا يُحَجِّبُ عَنْهَا إِذَا طَهَّرَ مِنْ ذُنُوبِهِ بِالنَّارِ .

وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ مَعْنَاهُ : أَنَّ الزُّنَا وَالسَّرِقَةَ لَا يَمْنَعَانِ دُخُولَ الْجَنَّةِ مَعَ التَّوْحِيدِ ، وَهَذَا حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ <sup>(١)</sup> لَيْسَ فِيهِ : أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ يَوْمًا عَلَيْهِمَا مَعَ التَّوْحِيدِ .

وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّارِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : ﴿ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ ، يُصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وَالثَّانِي : مَا فِيهِ أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ ، وَهَذَا قَدْ حَمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى الْخُلُودِ فِيهَا ، أَوْ عَلَى نَارٍ يَخْلُدُ فِيهَا أَهْلُهَا ، وَهِيَ مَا عَدَا الدَّرَكِ الْأَعْلَى ، فَإِنَّ الدَّرَكِ الْأَعْلَى يَدْخُلُهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤَحِّدِينَ بِذُنُوبِهِمْ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ ، وَبِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَقُولُ : ﴿ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ <sup>(١)</sup> .

- (١) كذا وقع، وهو الصواب، وفي بعض النسخ [في صحيح مسلم] فالحديث عند البخاري أيضًا رحمه الله .

- ٢ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله عز وجل : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } ١٣٩/٤ . ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٤٦) . قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٧٢ قوله : " من شهد أن لا إله إلا الله " أي : من تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً ، كما دلَّ عليه قوله تعالى : { فاعلم أنه لا إله إلا الله } [محمد: ٢٠] وقوله : { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } [الزخرف : ٨٧] أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها قال ذلك غير نافع بالإجماع . وفي الحديث ما يدل على هذا. وهو قوله " من شهد " إذ كيف يشهد وهو لا يعلم ، ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به . ثم قال ص ٧٨ فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها ، عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به، فهذا هو المسلم حقا ، فإن عمل به ظاهراً من غير اعتقاد فهو المنافق ، وإن عمل بخلافها من الشرك فهو الكافر، ولو قالها. ألا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهراً وهم في الدرك الأسفل من النار، واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر، فلم تنفعهم، وكذلك من ارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها فإنها لا تنفعه، ولو قالها مائة ألف. فكذاك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله ، كعباد القبور والأصنام فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها وما أشبهه من الأحاديث . وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك بقوله : " وحده لا شريك له " تنبيهاً على أن الإنسان قد يقولها وهو مشرك كاليهود والمنافقين وعباد القبور . انتهى .



## شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ : الْمَرَادُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ : أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَمُقْتَضٍ لِذَلِكَ ، وَلَكِنَّ الْمُقْتَضِيَّ لَا يَعْمَلُ عَمَلَهُ إِلَّا بِاسْتِجْمَاعِ شُرُوطِهِ وَأَنْتِفَاءِ مَوَانِعِهِ ، فَقَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ لِفَوَاتِ شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِهِ ، أَوْ لَوْجُودِ مَانِعٍ ؛ وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ وَوَهَّبِ بْنِ مُبَيَّهٍ ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ لِلْفَرَزْدَقِ - وَهُوَ يَذْفِنُ امْرَأَتَهُ - : مَا أَعَدَدْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ ؟ قَالَ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً . قَالَ الْحَسَنُ : [ نَعَمْ ] <sup>(٢)</sup> إِنَّ لَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شُرُوطًا <sup>(٣)</sup> فَيَايَاكَ وَقَذْفَ الْمُحْصَنَةِ [ وَرَوِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْفَرَزْدَقِ : هَذَا الْعَمُودُ . فَأَيْنَ الطُّنْبُ ؟ ] <sup>(٤)</sup> .

- انعم هذا حق لا مرية فيه ، ولا يغالط فيه إلا مدخول العقيدة . فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن المسلم إذا كان على التوحيد ، ولم يشرك بربه أحداً ، واقترب بعض السيئات ، مثل السرقة والزنا وشرب الخمر وغير ذلك من الكبائر ، فهو في مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه ، وأدخله الجنة ، وإن شاء أخذ بهنبيه ، فأدخله النار ، ثم يطهر فيها ، ويكون مصيره في النهاية إلى الجنة ورحمة الله - عز وجل - . وعلى هذا يُحْمَلُ قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ "أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا مِنْ عَمَلٍ" أَنَّ الْعَمَلَ هَذَا هُوَ مَا دُونَ الْكُفْرِ وَالشَّرْكِ مِنْ سَائِرِ الْكِبَائِرِ . أَمَّا الْكُفْرُ وَالشَّرْكَ فَلَا يُدْخِلُهُ اللَّهُ صَاحِبِهِ الْجَنَّةَ أَبَدًا ؛ لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ . قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي شَرْحِهِ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ ٢١٧/١ : [ واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف : أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال . فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يُحْدِثْ مَعْصِيَةً بَعْدَ تَوْبَتِهِ ، وَالْمَوْفَّقُ الَّذِي لَمْ يُبَيِّنْ بِمَعْصِيَةٍ أَصْلًا ، فَكُلُّ هَذَا الصَّنْفِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَدْخُلُونَ النَّارَ أَصْلًا لَكِنَّمَا يَرُدُّونَهَا عَلَى الْخِلَافِ الْمَعْرُوفِ فِي الْوُرُودِ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى ظَهْرِ جَهَنَّمَ ، أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمِنْ سَائِرِ الْمَكْرُوهِ . وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَمَاتَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ ، فَهُوَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - فَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَهُ كَالْقِسْمِ الْأَوَّلِ . وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ الْقَدْرَ الَّذِي يَرِيدُهُ - سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ثُمَّ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ . فَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَلَوْ عَمِلَ مِنَ الْمَعَاصِي مَا عَمِلَ - كَمَا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ وَلَوْ عَمِلَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ مَا عَمِلَ . هَذَا مُخْتَصَرٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدْلَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْأُمَّةِ عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ ، وَتَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ نِصُوصُ الْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ ، فَإِذَا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ حَمَلَ عَلَيْهَا جَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنْ أَحَادِيثِ الْبَابِ وَغَيْرِهِ ، فَإِذَا وَرَدَ حَدِيثٌ فِي ظَاهِرِهِ مَخَالَفَةٌ وَجِبَ تَأْوِيلُهُ عَلَيْهَا ؛ لِجُمُعِ بَيْنِ نِصُوصِ الشَّرْعِ ] أَنْتَهَى .

٢ -

- ٣ أخرجه البزار في مسنده ١ والبيهقي في شعب الإيمان ٢٦٨/١ ، ٢٦٩ رقم (٩٦) والطبراني في المعجم الصغير رقم (٣٤٩) وقال الهيثمي في المجمع ٢٢/١ رواه البزار والطبراني في الأوسط والصغير ، ورجاله رجال الصحيح .

- ٤ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد / باب كلام الرب - عز وجل - يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٢٠٢/٨ ومسلم في كتاب الإيمان / باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم (٣٢٦) .



وَقِيلَ لِلْحَسَنِ : إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ : مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ : مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرَضَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ لِمَنْ سَأَلَهُ : أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فَتَحَ لَكَ ، وَإِلَّا لَمْ يَفْتَحْ لَكَ <sup>(١)</sup> .

وَهَذَا الْحَدِيثُ : ﴿ إِنَّ مِفْتَاحَ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ .

عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ إِذَا سَأَلَكَ أَهْلُ الْيَمَنِ عَنْ مِفْتَاحِ الْجَنَّةِ ؟ فَقُلْ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . ﴾ .

وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَبَّ دُخُولِ الْجَنَّةِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ . كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﴿ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ . فَقَالَ : تَعْبُدُ اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : ﴿ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذُنْبِي عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ . قَالَ : تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومُ

- اكذا وقع هنا وفي النسخ المطبوعة [نعم العدة].

- لقد أجاد الحافظ أحمد حكي - رحمه الله - في نظم عدة أبيات جمع فيها شروط كلمة التوحيد التي لا ينتفع بها صاحبها إلا إذا أتى بها وحققها ، وهي في حقيقتها لم تخرج عن جملة أحاديث وردت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال - رحمه الله - : وبشروط سبعة قد قُيِّدَتْ وفي نصوص الوحي حقا وردت فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها العلم واليقين والقبول والانقياد فاذا ما أقول والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه وهذا مأخوذ من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفائل " من قال : لا إله إلا الله مخلصاً " وفي رواية " مستيقناً " وفي بعضها " مصدقاً بها قلبه لسانه " وفي بعضها " يقولها حقا من قلبه " وفي بعضها " قد دل بها لسانه واطمأن بها قلبه " كما ذكر المؤلف - رحمه الله - وسيأتي بعد قليل . ويمكننا أن نضيف إلى هذه الشروط السابقة السبعة شرطاً ثامناً : ألا وهو الكفر بما يُعْبَد من دون الله ، كما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رقم (٣٧) من كتاب الإيمان . فيه " من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يُعْبَد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله " . قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : [ وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعْبَد من دون الله . فإن شكك أو ترددت لم يحرم ماله ودمه ، فيألها من مسألة ما أُلجها ، ويأله من بيان ما أوضحه ، ووجه ما أقطعها للمنازع ] تيسير العزيز الحميد ص ١٤٧ .

- ٣ ما بين المعرفين سقط من كل النسخ المطبوعة ما عدا نسخة ( ش ) .



رَمَضَانَ فَقَالَ الرَّجُلُ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ . فَقَالَ ﷺ مِنْ سِرِّهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ﴿ (١) .

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ بَشِيرِ بْنِ الْخِصَاصِيَّةِ قَالَ : ﴿ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ لِأُبَايِعَهُ فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ أُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَأَنْ [أُوتِيَ] (٢) الزَّكَاةَ ، وَأَنْ أُحَجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ أَصُومَ رَمَضَانَ ، وَأَنْ أُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا اثْنَتَيْنِ (٣) فَوَاللَّهِ لَا أُطِيقُهُمَا : الْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ (٤) فَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ ثُمَّ حَرَّكَهَا ، وَقَالَ : لَا جِهَادَ وَلَا صَدَقَةَ ، فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِذَا؟ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أُبَايِعُكَ عَلَيْهِنَّ كُلَّهُنَّ (٥) .

## شُرُوطُ دُخُولِ الْجَنَّةِ

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ شَرَطُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعَ حُصُولِ التَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ (٦) .

وَنَظِيرُ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿ (٧) فَفَهَمَ عُمَرُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ مَنْ أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ اِمْتَنَعَ مِنْ عُقُوبَةِ الدُّنْيَا

- ١ في نسخة (ط) أخرجه البخاري تعليقاً ١٠٩/٣ فتح، وقد وصله في تاريخه ٩٥/١ وأبو نعيم في الحلية ٦٦/١ .

- ٢ أخرجه أحمد في مسنده ٢٤٢/٥ وهو كما قال المؤلف - رحمه الله - وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/١ : رواه أحمد والبخاري وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة. وهذا منها .

- ٣ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة / باب وجوب الزكاة ١٠٨/٢ ، ١٠٩ ، ومسلم في كتاب الإيمان / بباب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة رقم (١٢) .

- ٤ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة / باب وجوب الزكاة ١٠٩/٢ . ومسلم في الذي يدخل به الجنة رقم (١٥) .

- ٥ كذا وقع وفي بعض النسخ [أودي] وهو كما في المسند .

- ٦ كذا وقع في المخطوط وفي كل النسخ المطبوعة . وأما في المسند [أما اثنتان] .

- ٧ في المسند [ الجهاد والصدقة ، فإنهم زعموا أنه من ولى الدين فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت . والصدقة فوالله ما لي إلا غنيمة وعشر

ذوئد هن رسل أهل وحمولتهم ، قال : فقبض .... ] إلخ الحديث.



بِمُحَرَّدِ ذَلِكَ ، فَتَوَقَّفُوا فِي قِتَالِ مَانِعِي الزَّكَاةِ <sup>(١)</sup> وَفَهُمُ الصِّدِّيقُ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ قِتَالُهُ إِلَّا بِأَدَاءِ حُقُوقِهَا ، لِقَوْلِهِ ﷺ ﴿ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَنَّاعُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ﴾ وَقَالَ : الزَّكَاةُ حَقُّ الْمَالِ .

وَهَذَا الَّذِي فَهِمَهُ الصِّدِّيقُ قَدْ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ ابْنُ عُمَرَ وَأَنْسُ وَغَيْرُهُمَا ، وَأَنَّهُ قَالَ : ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . ﴾ .

وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَإِنْ تَابُوا <sup>(٢)</sup> ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ <sup>(٣)</sup> التَّوْبَةُ ١١ .

كَمَا دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ <sup>(٤)</sup> عَلَى أَنَّ الْأُخُوَّةَ فِي الدِّينِ لَا تُثَبِّتُ إِلَّا بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ مَعَ التَّوْحِيدِ ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الشَّرِكِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ . وَلَمَّا قَرَّرَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا لِلصَّحَابَةِ رَجَعُوا إِلَى قَوْلِهِ ، وَرَأَوْهُ صَوَابًا .

فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ عُقُوبَةَ الدُّنْيَا لَا تَرْتَفِعُ عَمَّنْ أَدَّى الشَّهَادَتَيْنِ مُطْلَقًا ، بَلْ قَدْ يُعَاقَبُ بِإِخْلَالِهِ بِحَقِّ مَنْ حُقُوقِ الْإِسْلَامِ ، فَكَذَلِكَ عُقُوبَةُ الْآخِرَةِ .

وَقَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْمَذْكُورَةَ أَوْلًا وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، كَانَتْ قَبْلَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ ، مِنْهُمْ الزُّهْرِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا <sup>(٥)</sup> فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ نُزُولِ الْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ ، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَهِيَ فِي آخِرِ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ .

- أخرجَه أحمد في مسنده ٢٢٤/٥ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٧/١ رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط واللفظ للطبراني ، ورجال أحمد موقوفون . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٢ .

- وهذا هو الحق لا مرية فيه ، والذي لا يجادل فيه إلا مجادل مغالط فما بال أقوام يُفَصِّرُونَ دخول الجنة والنجاة من النار على قول كلمة التوحيد لا غير ، ولو لم يأت بشروطها ويحقق مقتضياتها ، بل ويأتي بنواقضها صراحة بولاً عندما فيه من الله برهان . فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . - سورة التوبة آية : ٥ .

- سورة التوبة آية : ١١ .

- أخرجَه البخاري في كتاب الزكاة / باب وجوب الزكاة ١١٠/٢ بلفظ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله " . ومسلم في كتاب الإيمان / باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رقم (٣٣) ، (٣٥) ، (٣٦) .





وَهَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ : إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ <sup>(١)</sup> . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : هِيَ مُحْكَمَةٌ ، وَلَكِنْ ضُمَّ إِلَيْهَا شَرَائِطُ ، وَيَلْتَفِتُ هَذَا إِلَى أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى النَّصِّ : هَلْ هِيَ نَسْخٌ أَمْ لَا ؟ وَالْخِلَافُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأُصُولِيِّينَ مَشْهُورٌ .

وَقَدْ صَرَّحَ الثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ ، وَأَنَّ نَاسِخَهَا الْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ ، وَقَدْ يَكُونُ مُرَادُهُمْ بِالنَّسْخِ الْبَيَانَ وَالْإِيضَاحَ ، فَإِنَّ السَّلْفَ كَانُوا يُطْلِقُونَ النَّسْخَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَيَكُونُ مَقْصُودُهُمْ أَنَّ آيَاتِ الْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ تَبَيَّنَ بِهَا تَوَقُّفُ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ عَلَى فِعْلِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ ، فَصَارَتْ تِلْكَ النُّصُوصُ مَنْسُوخَةٌ ، أَي : مُبَيَّنَةٌ مَفْسَّرَةٌ ، وَنُصُوصُ الْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ نَاسِخَةٌ أَي : مُفَسَّرَةٌ لِمَعْنَى تِلْكَ ، مُوضَّحَةٌ لَهَا .

## فَهُمُ النُّصُوصُ الْمَطْلُوقَةُ فِي ضَوْءِ النُّصُوصِ الْمُقَيَّدَةِ

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : تِلْكَ النُّصُوصُ الْمَطْلُوقَةُ قَدْ جَاءَتْ مُقَيَّدَةً فِي أَحَادِيثٍ أُخَرَ ، فَفِي بَعْضِهَا : ﴿ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا ﴾ <sup>(٢)</sup> وَفِي بَعْضِهَا مُسْتَيْقِنًا <sup>(٣)</sup> وَفِي بَعْضِهَا : ﴿ يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ ﴾ <sup>(١)</sup> وَفِي

١ -

٢ - اختار الإمام النووي - رحمه الله - عدم تكفير مانعي الزكاة ، واعتبرهم أهل بغي ، كما في شرحه على صحيح مسلم ٢٠٤/١ وفرق بينهم في الحكم وبين مانعي الزكاة في العصور المتأخرة. فقال - رحمه الله - ٢٠٥/١ . [ فإن قيل: كيف تأولت أمر الطائفة التي منعت الزكاة على الوجه الذي ذهبت إليه وجعلتهم أهل بغي ؟ وهل إذا أنكرت طائفة من المسلمين في زماننا فرض الزكاة وامتنعوا من أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغي ؟ قلنا : لا ، فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافراً بإجماع المسلمين . والفرق بين هؤلاء وأولئك ، أنهم إنما عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان . منها قرب العهد بزمان الشريعة الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ . ومنها أن القوم كانوا جهالاً بأمور الدين ، وكان عهدهم بالإسلام قريباً ، فدخلتهم الشبهة فغُتروا . فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام ، واشترك فيه العالم والجاهل ، فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكارها . وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا علمته منتشراً كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاعتسال من الجنبابة وتحريم الربا والخمر ، ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام ، إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ، ولا يعرف حدوده ، فإنه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً لم يكفر ، وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء اسم الدين عليه ، فأما ما كان عليه الإجماع فيه معلوماً من طريق علم الخاصة كتحريم نكاح المرأة على عماتها وخالاتها ، وأن القاتل عمداً لا يرث ، وأن للجدة السدس ، وما أشبه ذلك من الأحكام ، فإن من أنكرها لا يكفر ، بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة انتهى .

{ - ٣ - فإن تابوا } قال جمع غير من المفسرين عند هذه الآية : أي تابوا من الشرك ، وقيل : توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربه . وقيل : فإن رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحد نبوة نبيه محمد إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له . وقيل : الرجوع عن الكفر إلى التوحيد .



بَعْضِهَا : ﴿ يَقُولُهَا حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ ﴾ (٢) وَفِي بَعْضِهَا : ﴿ قَدْ ذَلَّ بِهَا لِسَانُهُ ، وَاطْمَأَنَّ بِهَا قَلْبُهُ ﴾ (٣) وَهَذَا كَلِمَةُ إِشَارَةٍ إِلَى عَمَلِ الْقَلْبِ ، وَتَحَقُّقِهِ بِمَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ ، فَتَحَقُّقُهُ بِقَوْلِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَلَّا يَأْلَهُ الْقَلْبُ غَيْرَ اللَّهِ حُبًّا وَرَجَاءً ، وَخَوْفًا ، وَتَوَكُّلاً وَاسْتِعَانَةً ، وَخُضُوعًا وَإِنَابَةً ، وَطَلْبًا . وَتَحَقُّقُهُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ بِغَيْرِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمَعْنَى مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ صَرِيحًا أَنَّهُ قَالَ : ﴿ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ . قِيلَ : مَا إِخْلَاصُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : أَنْ تَحْجِزَكَ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ (٤) . وَهَذَا يُرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ ، وَلَكِنَّ إِسْنَادَهُمَا لَا يَصِحُّ وَجَاءَ أَيْضًا مِنْ مَرَّاسِيلِ الْحَسَنِ وَنَحْوِهِ .

وَتَحْقِيقُ هَذَا الْمَعْنَى وَإِضَاحُهُ أَنَّ قَوْلَ الْعَبْدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَمْتَضِي أَنَّ لَا إِلَهَ لَهُ غَيْرُ اللَّهِ ، وَاللَّهِ الَّذِي يُطَاعُ فَلَا يُعْصَى هَيْبَةً لَهُ وَإِجْلَالًا ، وَمَحَبَّةً ، وَخَوْفًا ، وَرَجَاءً ، وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ ، وَسُؤَالًا مِنْهُ ، وَدُعَاءً لَهُ ، وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ كَلِمَةً إِلَّا لِلَّهِ وَعَجَلًا ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَخْلُوقًا فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ

- ١ قال الإمام النووي - رحمه الله - نقلًا عن القاضي عياض - رحمه الله - ٢١٩/١ [ فحكي عن جماعة من السلف - رحمه الله - منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي . وقال بعضهم : هي جملة تحتاج إلى شرح . ومعناه : من قال الكلمة وأدى حقها وفريضةها . وهذا قول الحسن البصري . وقيل : إن ذلك لمن قالها عند الندم ومات على ذلك ، وهذا قول البخاري . وهذه التأويلات إنما هي إذا حملت الأحاديث على ظاهرها . وأما إذا أنزلت منازلها فلا يشكّل تأويلها على ما بيّنه المحققون . ثم قال ٢٢٠/١ وأما ما حكاه عن ابن المسيب وغيره فضعيف باطل ؛ وذلك لأن راوي أحد هذه الأحاديث أبو هريرة - رضى الله عنه - وهو متأخر الإسلام أسلم عام خيبر سنة سبع بالاتفاق . وكانت أحكام الشريعة مستقرّة ، وأكثر هذه الواجبات كانت فروعها مستقرّة ] انتهى .

- ٢ قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره فتح القدير ١٩٧/١ [ وقال ابن جرير ما ننسخ ما ننقل من حكم آية إلى غيره ، فنبذله ونغيره . وذلك أن نحول الحلال حراما والحرام حلالا ، والمباح محظورا ، والمحظور مباحا ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والخطر والإطلاق والمنع والإباحة . فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ ] انتهى قلت : وعلى هذا فدعوى النسخ هنا غير مقبولة وغير صحيحة ؛ لأن الأحاديث هنا متعلّقة بالأخبار وليست متعلّقة بالأمر والنهي ولا الحرام والحلال .

- ٣ أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٦/٥ عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : أنا من شهد معاذًا حين حضرته الوفاة : يقول : اكشفوا عني سحفا القبة أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال مرة : أخبركم بشيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يمنعني أن أحدثكموه الآن إلا أن تتكلموا . سمعته يقول : " من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه أو يقينا من قلبه ، لم يدخل النار . أو دخل الجنة " وقال مرة : " دخل الجنة ولم تمسه النار " . قال الهيثمي في المجمع ٢٢/١ رواه البزار ورجاله ثقلة ، إلا أن من روى عنهما البزار لم أفت لهما على ترجمة . وكذلك أخرجه الحميدي في مسنده ١٨١/١ رقم (٣٦٩) والطبراني في الكبير رقم (٦٣) وابن حبان كما في موارد الطمان رقم (٤) .

- ٤ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا رقم (٥٢) (٣١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا أبا هريرة ! " وأعطاني نعليه . قال : " اذهب بنعلي هاتين . فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا به قلبه فبشّره بالجنة " وكذلك البيهقي في الشعب رقم (٥) .



إِلَهِيَّةٍ كَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي إِخْلَاصِهِ فِي قَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَنَقْصًا فِي تَوْحِيدِهِ ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ عِبُودِيَّةِ الْمَخْلُوقِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ .

## الشِّرْكَ وَالْكَفْرُ لَهُ أَصْلٌ وَفُرُوعٌ

وهذا كله من فروع الشِّرْكَ<sup>(١)</sup> ؛ ولهذا ورد إطلاق الكُفْرِ والشِّرْكَ على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه ، أو التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْعَمَلِ لِأَجْلِهِ ، كما ورد في إطلاق الشِّرْكَ على الرِّيَاءِ<sup>(٢)</sup> وَعَلَى الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> وَعَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ ، وَعَلَى مَنْ سَوَّى بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْمَخْلُوقِ فِي الْمَشِيئَةِ ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ<sup>(٤)</sup>

- أخرجه أحمد في مسنده ٢/٣٠٧ عن أبي هريرة أنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ماذا ردَّ إليك ربك في الشفاعة ؟ فقال : والذي نفس محمد بيده ! لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي ؛ لما رأيت من حرصك على العلم ، والذي نفس محمد بيده ! ما يهمني من انقصاصهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي . وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ " . قال الهيثمي في المجمع ٤٠٧/١٠ . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير معاوية بن معتب وهو ثقة .

- أخرجه أحمد في المسند ٦٣/١ عن عثمان بن عفان - رضی الله عنه - قال : "سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرم على النار" فقال عمر بن الخطاب - رضی الله عنه - : أنا أحدثك ما هي ؟ هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمداً -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وهي كلمة التقوى التي أخلص عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- عمه أبا طالب عند الموت : شهادة أن لا إله إلا الله" . قال الهيثمي في المجمع ٢٠/١ قلت : لعمر حديث رواه ابن ماجه ، بغير هذا السياق ، ورجاله ثقات ، رواه أحمد . وهو عند ابن حبان كما في موارد الظمان رقم (١) . وقال الحاكم في المستدرک ٧٢/١ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ولا بهذا الإسناد .

- ٣ عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذل بها لسانه ، واطمأن بها قلبه ، لم تطعمه النار " . أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٩) . قال الهيثمي في المجمع ٢٦/١ عن سعد بن عباد قال : سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : " من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أطاع بها قلبه ، وذل بها لسانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حرّمه الله - عز وجل - على النار " . رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضعيفه .

- ٤ أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ٦٤/١٢ عن أنس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة " قالوا يا رسول الله ! فما إخلاصها ؟ قال : " تحجزكم عن كل ما حرم عليكم " . قال الهيثمي في المجمع ٢٣/١ عن زيد بن أرقم - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة " قيل : وما إخلاصها ؟ قال : " أن تحجزه عن محارم الله " . رواه الطبراني في الأوسط والكبير إلا أنه قال في الكبير : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " إخلاصه أن تحجزه عما حرم الله عليه " وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو وضّاع .



وَكَذَا قَوْلُهُ : مَا لِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ ؛ وَكَذَلِكَ مَا يَقْدَحُ فِي التَّوَكُّلِ <sup>(١)</sup> وَتَقَرُّدِ اللَّهِ بِالنَّفْعِ وَالضَّرِّ :  
كَالطَّيْرَةِ <sup>(٢)</sup>

وَالرُّقَى الْمَكْرُوهَةَ <sup>(٣)</sup> وَإِثْبَانِ الْكُفَّانِ وَتَصْدِيقِهِمْ بِمَا يَقُولُونَ ، <sup>(٤)</sup> وَكَذَلِكَ اتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ فِيمَا  
نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، قَادِحٌ فِي تَمَامِ التَّوْحِيدِ وَكَمَالِهِ .  
وَلِهَذَا أَطْلَقَ الشَّرْعُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي مَنَشَوُهَا مِنْ اتِّبَاعِ هَوَى النَّفْسِ بِمَا هُوَ كُفْرٌ وَشِرْكٌ ؛  
كَقِتَالِ الْمُسْلِمِ ، <sup>(٥)</sup> وَمَنْ أَتَى حَائِضًا ، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا <sup>(٦)</sup> وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ <sup>(٧)</sup>  
وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يُخْرِجُهُ عَنِ الْمِلَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ

- اقال العلامة ابن القيم الجوزية - رحمه الله - في كتاب الصلاة ص ٢٤ : لو كذلك الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الإيمان إيمان ، فشعب الكفر كفر . والحياة شعبة من الإيمان ، وقلة الحياة شعبة من شعب الكفر . والصدق شعبة من شعب الإيمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر . والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان . وشعب الإيمان قسمان : قولية وفعلية . وكذلك شعب الكفر نوعان : قولية وفعلية ومن شعب الإيمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان ، وكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الإيمان . وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية . فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً وهي شعبة من شعب الكفر . فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف ، فهذا أصل [ انتهى .

- ٢ عن محمود بن لبيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ " : " الرياء " يقول الله - عز وجل - لهم يوم القيامة إذا جرى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم ترعون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " . أخرجه أحمد في مسنده ٢٨/٥ وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٢٥ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن شبيب بن خالد وهو ثقة .

- ٣ جاء رجل إلى عبد الله بن عمر فقال : أحلف بالكعبة ؟ فقال : " احلف برب الكعبة ، فإن عمر كان يحلف بأبيه ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا تحلف بأبيك ، فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك " . أخرجه أحمد في المسند ٢/١٢٥ وأبو داود في كتاب الأيمان والنذور / باب في كراهية الحلف بالأباء رقم (٣٢١٥) والترمذي في كتاب النذور والأيمان / باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله رقم (١٥٣٥) وعند الحاكم " فقد كفر " ١/١٨١ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجنا بمثل هذا الإسناد ، وخرجه في الكتاب ، وليس له علة ، ولم يُخرجه .

- ٤ عن حذيفة عن النبي - ( - قال : " لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان " . أخرجه أبو داود في كتاب الأدب / باب لا يقال : خبثت نفسي رقم ( ٤٩٨٠ ) وأحمد في مسنده ٥ ٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ . وعند الرامي " لا تقولوا : ما شاء وشاء محمد . ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم ما شاء محمد " في كتاب الاستئذان / باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان رقم ( ٢٧٠٢ ) .

- ٥ -

- ٦ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ( - قال : " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر " أخرجه البخاري في كتاب الطب باب لا هامة ٧/٢٧ . ومسلم في كتاب السلام / باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يُورد ممرض على مُصح رقم (٢٢٢٠) .

- ٧ عن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله - ( - يقول : " إن الرقي والتمائم والتولة شرك " قالت زينب زوجة عبد الله : لم تقول هذا ؟ والله لقد كانت عيني تعذب ، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيني . فإذا رقاني سكنت . فقال عبد الله : إنما ذاك عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده . فإذا رقاها كف عنها إما كان يكفك أن تقول كما كان رسول الله - ( - يقول : "



وَلِهَذَا قَالَ السَّلَفُ : كَفَرُ دُونَ كُفْرٍ ، وَشَرِكُ دُونَ شَرِكٍ <sup>(١)</sup>  
وَقَدْ وَرَدَ إِطْلَاقُ الْإِلَهِ عَلَى الْهَوَى الْمُتَّبِعِ ، قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ آخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ <sup>(٢)</sup>  
الْحَاجِثِيَّةُ : ٢٣ وَقَالَ الْحَسَنُ : هُوَ الَّذِي لَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ <sup>(٣)</sup> . وَقَالَ قَتَادَةُ : هُوَ الَّذِي كَلَّمَا هَوَى  
شَيْئًا رَكِبَهُ ، وَكَلَّمَا اشْتَهَى شَيْئًا أَتَاهُ . لَا يَحْجِزُهُ عَنْ ذَلِكَ وَرَعٌ وَلَا تَقْوَى <sup>(٤)</sup> .  
وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ مَرْفُوعًا بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ : ﴿ مَا تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ  
مِنْ هَوَى مُتَّبِعٍ ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : ﴿ لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَدْفَعُ عَنْ أَصْحَابِهَا حَتَّى يُؤْتِرُوا دُنْيَاهُمْ عَلَى دِينِهِمْ ، فَإِذَا  
فَعَلُوا ذَلِكَ رُدَّتْ عَلَيْهِمْ ، وَقِيلَ : كَذَبْتُمْ ﴾ <sup>(٦)</sup>  
وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدَّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ  
الْقَطِيفَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ وَأَنْتَكَسَ ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ ﴾ <sup>(١)</sup>

أذهب البأس رب الناس ، أشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقما . أخرجه أبو داود في كتاب الطب / باب في تعليق التمام رقم (٣٨٨٣) وابن ماجه في كتاب الطب / باب  
تعليق التمام رقم (٣٥٣٠) .

١ - عن أبي هريرة والحسن عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - ( - ) " . أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٩/٢ وكذلك  
الحاكم في المستدرک ٨/١ وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وصححه الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - في تعليقه على سنن  
الترمذي ٢٤٤/١ وصححه الشيخ الألباني - حفظه الله - في صحيح الجامع رقم (٥٩٣٩) .  
٢ - سورة الحجرات آية : ٢٣ .

٣ -

٤ - عن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر وأخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما ينهى عن السباب واللعن ٨٤/٧ ومسلم في كتاب  
الإيمان / باب بيان قول النبي - ( - ) سباب المسلم فسوق وقتاله كفر رقم (١١٦) .

٥ - عن أبي هريرة - رضی الله عنه - عن النبي - ( - ) قال : " من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا : فقد كفر بما أنزل على محمد " . أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة / باب ما  
جاء في كراهية إتيان الحائض . رقم (١٣٥) . وأحمد في مسنده ٤٠٨/٢ بلفظ : " فقد برئ مما أنزل الله على محمد عليه الصلاة والسلام " وفي ٤٧٦/٢ وأبو داود في كتاب الطب / باب في  
الْكُهَّانِ ، رقم (٣٩٠٤) والدرامي في كتاب الوضوء والصلاة / باب من أتى امرأة في دبرها رقم (١١٤١) وابن الجارود في المنتقى رقم (١٠٧) . وصححه الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله -  
في تعليقه على سنن الترمذي ٢٤٣/١ ، ٢٤٤ ، وصححه الشيخ الألباني - حفظه الله - في صحيح الجامع رقم (٥٩٤٢) .

٦ - عن معاوية : قال : قال رسول الله - ( - ) : " من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه " . أخرجه الترمذي في كتاب الحدود / باب ما جاء في شرب الخمر رقم (١٤٤٤) وأبو  
داود في كتاب الحدود / باب إذا تتابع في شرب الخمر رقم (٤٤٨٤) و(٤٤٨٥) وابن ماجه في كتاب الحدود / باب من شرب الخمر مرارًا رقم (٢٥٧٢) و(٢٥٧٣) وصححه الترمذي وكذلك  
الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٠٩) . واختار الإمام الترمذي نسخ القتل ، وقال : ثم أتى النبي - ( - ) بعد ذلك برجل قد شرب الخمر في الرابعة ولم يقتله ، وكذلك روى الزهري عن  
قيصة بن ذؤيب عن النبي - ( - ) نحو هذا . قال : فرفع القتل وكانت رخصة . والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم ، لا نعلم بينهم خلافاً في ذلك في القديم والحديث .



فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا وَأَطَاعَهُ، وَكَانَ غَايَةَ قَصْدِهِ وَمَطْلُوبِهِ، وَوَالِي لِحُجَّتِهِ، وَعَادَى لِأَجَلِهِ، فَهُوَ عَبْدُهُ، وَذَلِكَ الشَّيْءُ مَعْبُودُهُ وَإِلَهُهُ

## طَاعَةُ الشَّيْطَانِ تَقْدَحُ فِي تَوْحِيدِ الرَّحْمَنِ

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - سَمَّى طَاعَةَ الشَّيْطَانِ فِي مَعْصِيَةِ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ (خَطَا) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ <sup>(٢)</sup> يس وَقَالَ - حَاكِيًا عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ - : ﴿ يَتَأْتَبَتُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ <sup>(٣)</sup> مَرِيمُ : ٤٤ فَمَنْ لَمْ يُحَقِّقْ عُبودِيَّةَ الرَّحْمَنِ وَطَاعَتَهُ فَإِنَّهُ يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ بِطَاعَتِهِ لَهُ، وَلَمْ يَخْلُصْ مِنْ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ عُبودِيَّةَ الرَّحْمَنِ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ <sup>(٤)</sup> الْحَجَرُ : ٤٢ فَهُمْ الَّذِينَ حَقَّقُوا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَخْلَصُوا فِي قَوْلِهَا، وَصَدَّقُوا قَوْلَهُمْ بِفِعْلِهِمْ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، مَحَبَّةً وَرَجَاءً وَخَشْيَةً وَطَاعَةً وَتَوَكُّلاً، وَهُمْ الَّذِينَ صَدَّقُوا فِي قَوْلِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ عِبَادُ اللَّهِ حَقًّا .

- اقلت : هذا حق لا مرية فيه . وفيه ردُّ على الخوارج الذين يكفرون المسلمين بذنوبهم استنادًا إلى مثل تلك الأحاديث ، التي أطلق فيها على بعض المعاصي أنها كفر وشرك ، وأوتوا من قبل ضلالة فهمهم وعدم فقههم واعتبروا هذه الذنوب والمعاصي والكبائر كفرًا مخرجًا من الملة ، ولم يلتفتوا إلى تقسيم العلماء الكفر والشرك والفسق إلى أكبر مخرج من الملة وأصغر غير مخرج من الملة ، فوقعوا في تلك الهوة ، التي هي مزلة أقدام ، وتجرعوا على الله فقالوا غير الحق وتجرعوا على عباد الله فكفروهم واستباحوا دماءهم وأعراضهم وأموالهم ، فكان من شأنهم ما حكاه التاريخ عنهم من تشويه صورة الإسلام وتبديل معالمه . وكما يقال : لكل فعل رد فعل مضاد له ، فنشأ مقابل ذلك فكر الإرجاء الذي تسلل إلى الأمة عبر عصور طويلة في غياب الحكم الإسلامي الراشد ، حتى تسبَّد في الساحة ، ورفع رأسه ، وأصبحت له الكلمة والتوجيه ، وصارت له المؤلفات والدعاة والدعوات ، حتى حسبه أكثر الخلائق أنه الدين الصحيح ، وأنه الحق الصراح . وأصبح أصحابه هم العلماء والمربين والفقهاء والموجهين حتى غدا الحق غريبًا كما كان غريبًا . وأصبح عندهم الحكم بغير ما أنزل الله وتبديل شرائع الدين وتحكيم القوانين الوضعية الجاهلية كفر دون كفر وشرك دون شرك وفسق دون فسق ، وكذلك أصبحت موالاته أعداء الله من اليهود والنصارى والشويعيين والملحدين ، وكذلك أصبح النذر والطواف والنذير للقبور ، ودعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب المدد من الأموات كفر دون كفر وشرك دون شرك ، وفي أحسن الأحوال كفر أكبر ، ولكن أصحابه لا يكفرون ؛ لأنهم جهال . فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- ٢ سورة يس آية : ٦٠ .

- ٣ سورة مريم آية : ٤٤ .

- ٤ سورة الحجر آية : ٤٢ .



فَأَمَّا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِلِسَانِهِ ، ثُمَّ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَهَوَاهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَمُخَالَفَتِهِ فَقَدْ كَذَبَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ <sup>(١)</sup> وَنَقَصَ مِنْ كَمَالِ تَوْحِيدِهِ بِقَدْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانَ وَالْهَوَى <sup>(٢)</sup> ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> الْقَصَصُ : ٥٠ ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ <sup>(٤)</sup>

فِيَا هَذَا كُنْ عَبْدَ اللَّهِ لَا عَبْدَ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْهَوَى يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي النَّارِ : ﴿ أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ <sup>(٥)</sup> يُوسُفُ : ٣٩ . تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَاللَّهُ مَا يَنْجُو غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ حَقَّقَ عِبُودِيَّةَ اللَّهِ وَحَدَّهُ ، وَلَمْ يَلْتَمِثْ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَغْيَارِ .  
مَنْ عَلِمَ أَنَّ إِلَهَهُ وَمَعْبُودَهُ فَرْدٌ ، فَلْيُفَرِّدْهُ بِالْعِبُودِيَّةِ ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ <sup>(٦)</sup> الْكَهْفُ : ١١٠ .

كَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَتَكَلَّمُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ : لَا يَنَالُ أَحَدٌ مُرَادَهُ حَتَّى يَنْفَرِدَ فَرْدًا بِفَرْدٍ ، فَانزَعَجَ وَاضْطَرَبَ ، حَتَّى رَأَى أَصْحَابَهُ أَنَّ الصُّخُورَ قَدْ تَدَكَّدَكَتْ ، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ سَاعَاتٍ ، فَلَمَّا أَفَاقَ فَكَانَهُ نُشْرٌ مِنْ قَبْرِ .  
قَوْلُهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْتَضِي أَلَّا يُحِبَّ سِوَاهُ ، فَإِنَّ إِلَهَهُ هُوَ الَّذِي يُطَاعُ ، مَحَبَّةً وَخَوْفًا وَرَجَاءً . وَمِنْ تَمَامِ مَحَبَّتِهِ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ ، وَكَرَاهَةُ مَا يَكْرَهُهُ ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ، أَوْ كَرِهَ شَيْئًا مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ لَمْ يَكْمُلْ تَوْحِيدُهُ وَلَا صِدْقُهُ فِي قَوْلِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِيهِ مِنَ الشَّرْكِ الْخَفِيِّ بِحَسَبِ مَا كَرِهَهُ

١ - عزاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور ٢٦٠/٦ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن .

٢ - عزاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور ٢٦٠/٦ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة .

٣ - سورة القصص آية : ٥٠ .

٤ - سورة ص آية : ٢٦ .

٥ - سورة يوسف آية : ٣٩ .

٦ - سورة الكهف آية : ١١٠ .



مِمَّا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَمَا أَحَبَّهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ (١) مُحَمَّدٌ : ٢٨ .

## دَلَالَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ

قَالَ اللَّيْثُ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (٢) النُّورُ : ٥٥ (٣) قَالَ : لَا تُحِبُّوا (٤) غَيْرِي .

وَفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ (٥) عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ الذَّرِّ عَلَى الصِّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَوْرِ ، أَوْ تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَدْلِ ، وَهَلْ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ ؟ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ " (٦) (٧)

- (سورة محمد آية : ٢٨ .

- ٢سورة النور آية : ٥٥ .

- ٣عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٠/٦ إلى الطبراني . وقال الهيثمي في المجمع ١٩٣/١ رواه الطبراني في الكبير ، وفيه الحسن بن دينار ، وهو متروك الحديث .

- ٤أخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظ قريب منه رقم (٤٠٣٤) والحافظ ابن حجر في المطالب العالية رقم (٣٢٧٤) والهندي في كنز العمال رقم (٢٢١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٠/٧

: رواه البزار وفيه عبد الله بن محمد بن عجلان وهو ضعيف جداً . وذكر الهيثمي . رواية لهذا الحديث من طريق آخر بلفظ قريب منه وقال : رواه البزار وإسناده حسن .

- ٥أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير / باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٢٢٣ / ٣ وابن ماجه في كتاب الزهد / باب المكثرين رقم (٤١٣٦) .

- ٦ألا ترى من يطوف بالقبور ، ويقدم لها القرابين والنذور ، ويذبح لها الذبائح ، ويستغيث بالمقبور ، ويحل بساحته ، ويسكب على عينيه دموع الذل والانكسار ، أملاً أن يفرج كرباته ، ويقضي دينه ، ويشفي مريضه ، وهو يقول لا إله إلا الله ، فما قيمة هذه الكلمة وهو يهدم أركانها ، ويكذب أصولها ، وصارت في حلقه حروفاً جوفاء وكلمات لا رصيد لها ، ولا أثر لها في واقع حياته . ألا تراه قد كذب بأفعاله ما ينطق بلسانه؟! ألا ترى من ينحى حكم الله وشريعة الله عن الحكم والتحاكم بين الناس ، ويأتي لهم بزيالة الأفكار ، وسقط المتاع من قوانين وضعية جاهلية كفرية ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ويجعلها مصدرًا للحكم والتحاكم بين الناس ، ويعتبر من يخرج عليها خارجًا عن الشريعة ، يعاقب على ذلك ، ويتهم ويهدم دمه وماله وعرضه ، حتى صارت شرعاً وديناً غير شرع الله ودين الله ، ويحل ما حرم الله ، ويحرم ما أحل الله ، ويبيح المحظور ، ويحظر المباح . وهو مع ذلك يقول : لا إله إلا الله ؛ ليخدر بها المشاعر ، ويلبس بها على العوام . ألا تراه قد كذب بفعله القبيح هذا ما نطق به بلسانه؟! . ألا ترى من يوالي اليهود والنصارى أعداء الله ، ويقربهم ، ويعادي أولياء الله ، ويبعدهم ويبغضهم . وهو يقول : لا إله إلا الله ، ليل نهار ، كلمة لا وزن لها في حياته ، ولا معنى لها ، ولا مفهوم لها . ألا تراه وهو يقول هذه الكلمة ، ويفعل ما يفعله ، قد كذب بفعله ذلك ما نطقت به شفتاه؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- ٧ظن كثير من الناس أن ما يفعله القبوريون من شركيات وثنيات تنقص الإيمان وتقبح في كمال التوحيد ، وكذلك ما يفعله المشرعون والحكام الذين يحكمون بشرائع كفرية وقوانين وضعية ، ومن يوالون اليهود والنصارى وأصناف الكفرة المشركين . ظن كثير من الناس أن هذه الأعمال تنقص الإيمان لا غير ، بل الحقيقة أن هذه الأعمال تنقص الإيمان من الأساس ،





أَلِ عِمْرَانَ : ٣١ وَهَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ مَحَبَّةَ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَبُغْضَ مَا يُحِبُّهُ مُتَابِعَةٌ لِلْهَوَى ، وَالْمُؤَلَاةُ عَلَى ذَلِكَ وَالْمُعَادَاةُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ الْخَفِيِّ

قَالَ الْحَسَنُ : اعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُحِبَّ اللَّهَ حَتَّى تُحِبَّ طَاعَتَهُ

وَسُئِلَ ذُو النَّوْنِ : مَتَى أَحَبُّ رَبِّي ؟ قَالَ : إِذَا كَانَ مَا يُبْغِضُهُ عِنْدَكَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ وَقَالَ بِشْرُ بْنُ

السَّرِيِّ : لَيْسَ مِنْ أَعْلَامِ الْحُبِّ أَنْ تُحِبَّ مَا يُبْغِضُهُ حَبِيبَكَ

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ التَّهْرَجَوْرِي : كُلُّ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَمْ يُؤَافِقْ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ فَدَعَاؤُهُ بَاطِلَةٌ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ ، وَلَمْ يَحْفَظْ حُدُودَهُ .

وَقَالَ رُوَيْمٌ الْمَحَبَّةُ وَالْمُؤَافَقَةُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، وَأَنْشَدَ .

وَلَوْ قُلْتُ لِي : مُتْ . مِتُّ سَمْعًا وَطَاعَةً

وَقُلْتُ لِدَاعِي الْمَوْتِ : أَهْلًا وَمَرْحَبًا

وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ <sup>(١)</sup> أَلِ

عِمْرَانَ : ٣١ .

قَالَ الْحَسَنُ : قَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا حُبًّا شَدِيدًا ؛ فَأَحَبَّ اللَّهُ أَنْ

يَجْعَلَ لِحُبِّهِ عِلْمًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - هَذِهِ الْآيَةَ <sup>(٢)</sup>

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا تَتِمُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا بِشَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ

لَا تَتِمُّ مَحَبَّةُ اللَّهِ إِلَّا بِمَحَبَّةِ مَا يُحِبُّهُ وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ . فَلَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ إِلَّا مِنْ

وتهدم بنيان الدين كله ، ولا يبقى للإسلام أصل ولا فرع . قال أبو عثمان إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٦ ، ٦٧ . [ وأخبرنا أبو عمرو الحيري حدثنا محمد بن

يحيى ، ومحمد بن إدريس : سمعت الحميدي يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : الإيمان قول وعمل . يزيد وينقص . فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة : يا أبا محمد تقول : ينقص ! فقال

اسكت يا صبي ، بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء ] انتهى .

- سورة آل عمران آية : ٣١ .

- ٢ في مخطوطتنا : [ لا تشركوا بي شيئاً ] . وهو تصحيف .



جِهَةً مُحَمَّدٍ الْمُبَلِّغِ عَنِ اللَّهِ مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ <sup>(١)</sup> فَصَارَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ مُسْتَلْزِمَةً لِمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَتَصْدِيقِهِ وَمُتَابَعَتِهِ .

وَلِهَذَا قَرَنَ اللَّهُ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup>

إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> التَّوْبَةُ : ٢٤ كَمَا قَرَنَ بَيْنَ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ .

وَقَالَ ﷺ ﴿ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

## تَلَازِمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ

هَذِهِ حَالُ السَّحَرَةِ لَمَّا سَكَنَتْ الْمَحَبَّةُ قُلُوبَهُمْ ، سَمَحُوا بِبَدْلِ نُفُوسِهِمْ ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ <sup>(٥)</sup> وَمَتَى تَمَكَّنَتْ الْمَحَبَّةُ فِي الْقَلْبِ لَمْ تَنْبَعِثْ الْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى طَاعَةِ الرَّبِّ <sup>(٦)</sup> وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْحَدِيثِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، وَفِيهِ ﴿ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا ،

- ١ في كل النسخ المطبوعة : [ لا يحبون ] .

- ٢ سورة التوبة آية : ٢٤ .

- ٣ سورة التوبة آية : ٢٤ .

- ٤ الصواب أن يقال : مستدرك الحاكم ؛ لأن فيه أحاديث ضعيفة وبعض الموضوعات، وهذا تسامح من المؤلف رحمه الله .

- ٥ سورة طه آية : ٧٢ .

- ٦ كذا وقع هنا، وفي جميع النسخ المطبوعة [ الشرك في هذه الأمة أخفى .. ] وكذلك في المستدرك ٢/٢٩١ ليس فيه [ في هذه الأمة ] .



وَرَجَلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ﴿١﴾ ، وَفِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ : ﴿ فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ ، وَبِي يَبْطِشُ ، وَبِي يَمْشِي ﴾

وَالْمَعْنَى أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ إِذَا اسْتَعْرَقَ بِهَا الْقَلْبُ وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ تَتَّبِعْ الْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى مَرَاذِي الرَّبِّ ، وَصَارَتْ النَّفْسُ حِينْتِذِ مُطْمَئِنَّةً (فَنِينَتْ) <sup>(٢)</sup> بِإِرَادَةِ مَوْلَاهَا عَنْ مَرَادِهَا وَهَوَاهَا يَا هَذَا أَعْبُدُ اللَّهَ لِمُرَادِهِ مِنْكَ لَا لِمُرَادِكَ مِنْهُ ، فَمَنْ عَبَدَهُ لِمُرَادِهِ مِنْهُ فَهُوَ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ، إِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطمأنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، وَمَتَى قَوِيَتْ الْمَعْرِفَةُ وَالْمَحَبَّةُ لَمْ يُرْدْ صَاحِبُهَا إِلَّا مَا يُرِيدُهُ مَوْلَاهُ

وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ "مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرَ مِنْ رِضَاهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرَ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ"

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ "مَا نَظَرْتُ بِيَصْرِي ، وَلَا نَطَقْتُ بِلِسَانِي ، وَلَا بَطَشْتُ بِيَدِي ، وَلَا نَهَضْتُ عَلَى قَدَمِي ، حَتَّى أَنْظُرَ عَلَى طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ فَإِذَا كَانَتْ طَاعَةً تَقَدَّمْتُ ، وَإِنْ كَانَتْ مَعْصِيَةً تَأَخَّرْتُ"

هَذَا حَالُ خَوَاصِّ الْمُحِبِّينَ ، <sup>(٣)</sup> فَافْهَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - هَذَا ، فَإِنَّهُ مِنْ دَقَائِقِ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ الْعَامِضَةِ . وَإِلَى هَذَا الْمَقَامِ أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُطْبَتِهِ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَيْثُ قَالَ : ﴿ أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ ﴾ ، <sup>(٤)</sup> وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ .

- أخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٢٩١ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله : عبد الأعلى . قال الدارقطني : ليس بثقة . فالحديث ضعيف ، ولكن الطرف الأول منه ورد من عدة طرق ، وإن كانت ضعيفة ، إلا أنها ترتقي بالحديث إلى درجة الحسن . انظر مجمع الزوائد ١٠/٢٢٦ ، ٢٢٧ . وأحمد في مسنده ٤/٤٠٣ ، ٤١٧ ، وأبو يعلى في مسنده رقم (٥٨) و (٦٠) و (٦١) وعزاه السيوطي في الدار المنثور ٢/١٧٩ إلى ابن أبي حاتم . وأبو نعيم في الحلية والحاكم وكذلك الشوكاني في فتح القدير ١/٥٠٤ .

- عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١٧٧ ، ١٧٨ إلى ابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصري . وعزاه أيضاً إلى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق عباد بن منصور . وعزاه أيضاً إلى الحكيم الترمذي عن يحيى بن أبي كثير . وإلى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج . وكذلك الشوكاني في فتح القدير ١/٥٠٣ .

- كذا وقع في مخطوطتنا ، وفي كل النسخ المطبوعة [ما يحبه وما يكرهه بالتابع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه] .

- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان / باب حلاوة الإيمان ١/٩ وفي كتاب الإكراه / باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٨/٥٦ ، ومسلم في كتاب الإيمان / باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (٦٧) و (٦٨) .



فَإِنَّ مَنْ أَمْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَرَاغٌ لِشَيْءٍ مِنْ إِرَادَاتِ النَّفْسِ وَالْهَوَى ، وَإِلَى ذَلِكَ  
أَشَارَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ

أُرُوحٌ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَيَّ  
فُؤَادِي  
فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي اسْتَطَعَتْ غَضَضْتُ  
طَرْفِي  
أَحْبَبْتُ لَأَبْغَضِي بَلْ  
بُكِّلِي  
وَفِي الْأَحْبَابِ مَخْصُوصٌ  
بِوَجْهِ  
إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي  
خُدُودِ

بِحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ  
سِوَاكَ  
فَلَمْ أَنْظُرْ بِهِ حَتَّى أَرَكَ  
وَإِنْ لَمْ يُبْقِ حُبُّكَ لِي حِرَاكَ  
وَآخِرُ يَدْعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَ  
تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

فَأَمَّا مَنْ بَكَى فَيَذُوبُ  
وَجَدًا  
وَيَنْطِقُ بِالْهَوَى مَنْ قَدْ  
تَشَاكَى

مَتَى بَقِيَ لِلْمُحِبِّ مِنْ نَفْسِهِ حَظٌّ فَمَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ إِلَّا الدَّعْوَى، إِنَّمَا الْمُحِبُّ مَنْ يَفْنَى عَنْ نَفْسِهِ  
كُلَّهُ ، وَيَبْقَى بِحَبِيبِهِ، " فَبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ " .



الْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ : وَفِي الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ يَقُولُ اللَّهُ " مَا وَسَعَنِي سَمَائِي <sup>(١)</sup> وَلَا أَرْضِي . وَلَكِنْ وَسَعَنِي  
قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ " <sup>(٢)</sup>

فَمَتَى كَانَ الْقَلْبُ فِيهِ غَيْرُ اللَّهِ ، فَاللَّهُ أَغْنَى الْأَغْنِيَاءَ عَنِ الشَّرِكِ <sup>(٣)</sup> وَهُوَ لَا يَرْضَى بِمُزَاحِمَةِ أَصْنَامِ  
الْهُوَى

الْحَقُّ - تَعَالَى - غَيُورٌ ، يَعَارُ عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْكُنَ فِي قَلْبِهِ سِوَاهُ ، وَأَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ لَا  
يَرْضَاهُ

أَرَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا صِرْفًا فَلَمَّا مَزَجْتُمْ

بِعُدَّتُمْ بِمَقْدَارِ النِّفَاقِ عَنَّا

- لقد تقرر في الأصول وصار من عُدِّ الشريعة وقواعدها المعتمدة تلازم الظاهر والباطن. فقال الشاطبي - رحمه الله - في الموافقات ١/٢٣٣ : [ومن هنا جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلاً على ما في الباطن . فإذا كان الظاهر منخرماً حكم على الباطن بذلك أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً . وهو أصل عام في الفقه وسائر أحكام العباديات والتجربيات . بل الالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جداً . والأدلة على صحته كثيرة جداً . وكفى بذلك عمدة في أنه الحاكم بإيمان المؤمن وكفر الكافر وطاعة المطيع وعدالة العدل وجرحة المجرم . وبذلك تتعدّد العقود وترتبط الموثيق إلى غير ذلك من الأمور . بل هو كلية التشريع وعمدة التكليف بالنسبة إلى إقامة الشعائر الإسلامية الخاصة والعامة ] انتهى . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى ٧/١٨٧ [فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً لزم ضرورة الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق . كما قال أئمة أهل الحديث : قول وعمل . قول باطن وظاهر ، وعمل باطن وظاهر . والظاهر تابع للباطن ، لازم له . متى صلح الباطن صلح الظاهر ، وإذا فسد فسد ، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابد لو خشع قلب هذا لخشعت جوراحه . فلا بد في إيمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما] . انتهى . وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتاب الصلاة ص ٢٥ : [ فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح . إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت . ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان . فإن الإيمان ليس مجرد التصديق - كما تقدم بيانه - وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد ] انتهى . وقال العلامة ابن رجب الحنبلي في كتاب جامع العلوم والحكم ص ٦٥ ، ٦٦ : [ فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب ، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممثلاً من محبة الله - تعالى - ومحبة طاعته وكرهه معصيته ... ثم قال : وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته . فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله . وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد القلب ] انتهى .

- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق/ باب التواضع/ ١٩٠/٧ .

- ٣٣٣ وكذا وقع في مخطوطتنا، وفي نسخة ش من كل النسخ المطبوعة .



وَقُلْنَا لَكُمْ لَا تُسْكِنُوا الْقَلْبَ غَيْرَنَا

فَأَسْكَنْتُمْ الْأَغْيَارَ مَا أَنْتُمْ مِنَّا

النَّجَاةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ

لَا يَنْجُو غَدًّا إِلَّا مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، لَيْسَ فِيهِ سِوَاهُ . قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١) الشُّعْرَاءُ : ٨٨-٨٩

الْقَلْبُ السَّلِيمُ : هُوَ الطَّاهِرُ مِنْ أَدْنَسِ الْمُخَالَفَاتِ ، فَأَمَّا الْمُتَلَطِّخُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ فَلَا يَصْلُحُ لِمُجَاوَرَةِ حَضْرَةِ الْقُدْسِ (٢) إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُطَهَّرَ فِي كَبِيرِ الْعَذَابِ ، فَإِذَا زَالَ مِنْهُ الْخَبْثُ صَلَحَ حِينَئِذٍ لِلْمُجَاوَرَةِ (٣) ﴿ إِنَّ اللَّهَ طَيْبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ﴾ (٤) .

فَأَمَّا الْقُلُوبُ الطَّيِّبَةُ فَتَصْلُحُ لِلْمُجَاوَرَةِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ : ﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ طَبَّتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَلْدِينَ ﴾ (٥) الزُّمَرُ : ٧٣ ، ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ (٦) النَّحْلُ : ٣٢ وَمَنْ لَمْ يُحْرِقْ الْيَوْمَ قَلْبُهُ بِنَارِ الْأَسْفِ عَلَى مَا سَلَفَ ، أَوْ بِنَارِ الشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ الْحَبِيبِ ، فَنَارُ جَهَنَّمَ لَهُ أَشَدُّ حَرًّا .

مَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّطَهُّرِ بِنَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا مَنْ لَمْ يُكْمَلْ تَحْقِيقَ التَّوْحِيدِ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ

- ١ سورة الشعراء آية : ٨٨-٨٩ .

- ٢ -

- ٣ كذا واقع في مخطوطتنا، وفي كل النسخ المطبوعة [ المحبين الصادقين ] .

- ٤ ذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية ١٤٦، ١٤٧/٢ بدون سند وكذلك أورده الإمام البيهقي في دلائل النبوة ٥٢٤/٢، ٥٢٥ .

- ٥ سورة الزمر آية : ٧٣ .

- ٦ سورة النحل آية : ٣٢ .



## احْذَرُوا الرِّيَاءَ

أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِ النَّارُ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ الْعِبَادِ الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ وَأَوَّلُهُمُ الْعَالِمُ، وَالْمُجَاهِدُ،  
وَالْمُتَّصِدِّقُ لِلرِّيَاءِ <sup>(١)</sup> ؛ لِأَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّهُ  
مَا يَنْظُرُ الْمُرَائِي إِلَى الْخَلْقِ فِي عَمَلِهِ إِلَّا لِحَهْلِهِ بِعَظَمَةِ الْخَالِقِ  
الْمُرَائِي يُزَوِّرُ التَّوَاقِعَ عَلَى اسْمِ الْمَلِكِ؛ لِيَأْخُذَ الْبَرَاطِيلَ <sup>(٢)</sup> لِنَفْسِهِ، وَيُوْهِمُ أَنَّهُ مِنْ خَاصَّةِ الْمَلِكِ ،  
وَهُوَ مَا يَعْرِفُ الْمَلِكُ بِالْكُلِّيَّةِ .

نَقَشُ الْمُرَائِي عَلَى الدَّرْهِمِ الرَّائِفِ اسْمَ الْمَلِكِ لِيُرَوِّجَ ، وَالْبَهْرَجُ <sup>(٣)</sup> مَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى غَيْرِ النَّاقِدِ .  
وَبَعْدَ أَهْلِ الرِّيَاءِ يَدْخُلُ النَّارَ أَصْحَابُ الشَّهَوَاتِ ، وَعَبِيدُ الْهَوَى ، الَّذِينَ أَطَاعُوا هَوَاهُمْ ، وَعَصَوْا  
مَوْلَاهُمْ ، فَأَمَّا عَبِيدُ اللَّهِ حَقًّا ، فَيُقَالُ لَهُمْ : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً  
﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ <sup>(٤)</sup> الْفَجْرُ : ٢٧ - ٣٠ .

نَارُ جَهَنَّمَ تَنْطَفِئُ بِنُورِ إِيمَانِ الْمُؤَحِّدِينَ .  
فِي الْحَدِيثِ : ﴿ تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ : جِزْ <sup>(٥)</sup> فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهْبِي ﴾ <sup>(٦)</sup> .

- ١ كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ماعدا نسخة ش فففيها [سمواتي] .

- ٢ لقد أجاد المؤلف -رحمه الله - عندما عزا هذا الأثر إلى الإسرائيليات . فقد اشتهر بين كثير من العوام والصوفية أن هذا حديث مرفوع ، وهو ليس كذلك ، بل لا أصل له فقد سئل شيخ الإسلام عنه فأجاب -رحمه الله - : [ الحمد لله ، هذا ما ذكروه في الإسرائيليات ليس له إسناد معروف عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعناه : وسع قلبه محبتي ومعرفتي . وما يروى : القلب بيت الرب . هذا من جنس الأول . فإن القلب بيت الإيمان بالله تعالى ومعرفته ومحبهه] انتهى . انظر مجموعة الفتاوى ١٢٢/١٨ . وقال كلاما قريبا من ذلك في ص ٣٧٦ .

- ٣ -

- ٤ سورة الفجر آية : ٢٧-٣٠ .

- ٥ -

- ٦ عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه . أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق / باب من أشرك في عمله غير الله ، رقم (٢٩٨٥) وأحمد في مسنده ٢٠١،٤٣٥ ، وابن ماجه في كتاب الزهد / باب الرياء والسمعة رقم (٤٢٠٢) وأبو يعلى في مسنده رقم (٦٥٥٢) .



وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لَا يَبْقَى [مُؤْمِنٌ] <sup>(١)</sup> وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْدًا وَسَلَامًا ، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، حَتَّىٰ إِنَّ لِلنَّارِ ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
هَذَا مِيرَاثٌ وَرِثَةٌ الْمُحِبُّونَ مِنْ حَالِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .  
نَارُ الْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْمُحِبِّينَ تَخَافُ مِنْهَا نَارُ جَهَنَّمَ .  
قَالَ الْجَنَيْدُ : قَالَتْ النَّارُ : يَا رَبِّ لَوْ لَمْ أُطْعَمْ هَلْ كُنْتُ تُعَذِّبُنِي بِشَيْءٍ ؟ <sup>(٣)</sup> قَالَ : نَعَمْ كُنْتُ أَسْلُطُ عَلَيْكَ نَارِي الْكُبْرَى . قَالَتْ : وَهَلْ هُنَاكَ نَارٌ أَعْظَمُ مِنِّي وَأَشَدُّ ؟ قَالَ : نَارُ مَحَبَّتِي أَسْكَنْتَهَا أَوْلِيَائِي الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٤)</sup> .

قِفَا قَلِيلًا بِهَا عَلَيَّ فَلَا

أَقَلِّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوِّدَهَا <sup>(٥)</sup>

- اكذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة [ القدوس].

- ٢أما دَنَسُ الكفر والشرك - إن مات عليه صاحبه- لا تنفع فيه النار حتى يتطهر منه، فيظل خالدًا مخلدًا في الجحيم . أعادني الله وإياكم منها ومن حرها وسمومها وعذابها ووقاني وإياكم شرورها .

- ٣أخرجه مسلم في كتاب الزكاة / باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم (١٠١٥) وأحمد في مسنده ٢/ ٣٢٨ والترمذي في كتاب تفسير القرآن / باب ومن سورة البقرة، رقم (٢٩٨٩) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب .

- ٤عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل أستشهد . فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن . فأُتي به . فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم . وقرأت القرآن ليقال قارئ . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله . فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال : هو جواد . فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار . أخرجه مسلم في كتاب الإمامة / باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، رقم (١٩٠٥) والترمذي في كتاب الزهد / باب ما جاء في الرياء والسمعة، رقم (٢٣٨٢) وقول المؤلف - رحمه الله - [أول من تُسَعَّرُ به النار من الموحدين] دلالة على أنهم مسلمون وليسوا كفارًا، ولكنهم يعذبون في النار على عدم إخلاصهم في هذه الأعمال . وهذا اختيار الشاطبي - رحمه الله- كما ذكره في الموافقات وغيره من العلماء .

- ٥البراطيل: جمع برطيل بكسر الباء، وهو الرشوة ، ويقال في المثل : البراطيل تنصر الأباطيل . كأنه مأخوذ من البرطيل الذي هو المعول؛ لأنه يستخرج به ما استتر . وفتح الباء عامي . انظر المصباح المنير ص ٤٢ .





فَفِي فُؤَادِ الْمُحِبِّ نَارٌ جَوَى

أَحْرُ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا

لَوْ لَا دُمُوعُ الْمُحِبِّينَ تُطْفِئُ بَعْضَ

حَرَارَةِ الْوَجْدِ لَأَحْتَرَقُوا كَمَا

دَعَاؤُهُ يُطْفِئُ بِالْذُّمُوعِ حَرَارَةَ

عَلَى كَبِدِ حَرَّى دَعَاؤُهُ دَعَاؤُهُ!

سَلُّوا عَاذِلِيهِ يَعْذُرُوهُ هُنَيْهَةً

فَبِالْعَدَلِ دُونَ الشُّوقِ قَدْ قَتَلُوهُ!

كَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ ، يَقُولُ : أَلَيْسَ عَجَبًا أَنْ أَكُونَ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، وَفِي قَلْبِي مِنَ الْأَشْتِيَاقِ إِلَى

رَبِّي مِثْلَ شُعْلِ النَّارِ (١) الَّتِي لَا تَنْطَفِئُ ؟



وَلَمْ أَرِ مِثْلَ نَارِ الْحُبِّ<sup>(١)</sup>

نَارًا تَزِيدُ بَعْدَ مُوقَدِهَا اتِّقَادًا

مَا لِلْعَارِفِينَ شُغْلٌ بَعِيرٌ مَوْلَاهُمْ ، وَلَا هَمٌّ فِي غَيْرِهِ .

فِي الْحَدِيثِ : ﴿ مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ وَلِيَّهَ لَهُ هَمٌّ فِي غَيْرِهِ فَلَا تُصَدِّقْهُ .

وَكَانَ دَاوُدُ الطَّائِيَّ يَقُولُ فِي اللَّيْلِ : هَمُّكَ عَطَلٌ عَلَيَّ الْهُمُومَ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ السُّهَادِ ، وَشَوْفِي

إِلَى النَّظَرِ إِلَيْكَ أَوْ بَقَ مِنِّي اللَّذَاتِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ ، فَأَنَا فِي سِجْنِكَ أَيُّهَا الْكَرِيمُ ] مَطْلُوبٌ

[<sup>(٣)</sup>

مَا لِي شُغْلٌ سِوَاهُ مَا لِي شُغْلٌ

مَا يَصْرِفُ عَنْ هَوَاهُ قَلْبِي عَدْلٌ<sup>(٤)</sup>

مَا أَصْنَعُ إِنْ جَفَا وَخَابَ الْأَمَلُ ؟

- ١ البهرج : مثل جعفر . الرديء من الشيء .. ودرهم بهرج : رديء الفضة . وبُهِرَجَ الشيء بالبناء للمفعول أخذ به على غير الطريق . المصباح المنير ص ٦٤ .

- ٢ كذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة: [جزء يا مؤمن .

- ٣ قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٣ ١٠ رواه الطبراني، وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف . وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (٣٤١٣) .

- ٤ كذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة [ برأ ] .



مَنِّي بَدَلٌ وَمِنْهُ مَا لِي بَدَلٌ

إِخْوَانِي : إِذَا فَهِمْتُمْ هَذَا الْمَعْنَى فَهَيْئَتُمْ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ ﴿ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صِدْقًا <sup>(١)</sup> مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ <sup>(٢)</sup> .

مَنْ صَدَقَ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَجَا مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ الْكَلِمَةِ ، فَلَقَلَّةٌ صِدْقِهِ فِي قَوْلِهَا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ إِذَا صَدَقَتْ طَهَّرَتْ الْقَلْبَ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ ، وَمَتَى بَقِيَ فِي الْقَلْبِ أَثْرٌ لِسِوَى اللَّهِ <sup>(٣)</sup> ، فَمِنْ قَلَّةِ الصِّدْقِ <sup>(٤)</sup> فِي قَوْلِهَا مَنْ صَدَقَ فِي قَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَمْ يُحِبْ سِوَاهُ ، وَلَمْ يَرْجُ إِلَّا إِيَّاهُ ، وَلَمْ يَخْشَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَلَمْ يُبْقِ لَهُ بَقِيَّةً مِنْ آثَارِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ <sup>(٥)</sup> .  
وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنُّوا أَنَّ الْمَرَادَ أَنَّ الْمُحِبَّ مُطَالِبٌ بِالْعِصْمَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مُطَالِبٌ كُلَّمَا زَلَّ أَنْ يَتَلَفَى تِلْكَ الْوَصْمَةَ .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ : إِنَّ اللَّهَ لَيُحِبُّ الْعَبْدَ حَتَّى يَبْلُغَ مِنْ حُبِّهِ لَهُ أَنْ يَقُولَ : اذْهَبْ فاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ <sup>(٦)</sup>

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبُهُ <sup>(٧)</sup>

١- أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٢٨ ، ٣٢٩ . وقال الهيثمي في المجمع ١٠ ٦٣ قلت : لجابر حديث في الصحيح موقوف غير هذا ، رواه أحمد ورجاله ثقات .

٢- كذا وقع في مخطوطتنا [ هل كنت تعذبني بشيء ؟ ] وفي جميع النسخ [ بشيء أشد مني ؟ ] .

٣- الله أعلم بصحة هذا الكلام .

٤- كذا وقع في مخطوطتنا وفي بعض النسخ المطبوعة [ أرددها ] .

٥- كذا وقع في مخطوطتنا وفي بعض النسخ المطبوعة [ الشغل ] .

- ٦

٧- كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ما عدا نسخة (ش) [ المحبين ] .



وَتَفْسِيرُ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ اللَّهَ وَعَجَلٌ لَهُ عَنَائَةٌ بِمَنْ يُحِبُّهُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَكَلَّمَا زَلَقَ ذَلِكَ الْعَبْدُ فِي هَوَّةٍ أَخَذَ  
بِيَدِهِ إِلَى الْإِعْتِدَارِ ، وَيَتَّبِعُهُ بِمَصَائِبِ مُكْفَرَةٍ لِمَا حَنَى  
وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ : يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي ، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي ، وَأَهْلُ  
مَعْصِيَتِي لَا أَيْسُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي ، إِنْ تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَأَنَا طَبِيبُهُمْ ، أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ  
لُأَطْهَرَهُمْ مِنَ الْمَعَائِبِ ﴾ (١) .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ﴿ الْحَمَى نُذْهِبُ الْخَطَايَا كَمَا يُذْهِبُ الْكَبِيرُ الْخَبَثَ  
﴿ (٢) وَفِي الْمُسْنَدِ وَصَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ ﴿ أَنَّ رَجُلًا لَقِيَ امْرَأَةً كَانَتْ بَغِيًّا فِي  
الْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَعَلَ يُلَاعِبُهَا حَتَّى بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ مَهْ فَإِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ الشَّرْكَ وَجَاءَ بِالْإِسْلَامِ ،  
فَتَرَكَهَا وَوَلَّى ، فَجَعَلَ يَلْتَفِتُ خَلْفَهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا حَتَّى أَصَابَ وَجْهَهُ حَائِطًا ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَالِدَمَّ يَسِيلُ  
عَلَى وَجْهِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِالْأَمْرِ فَقَالَ ﷺ أَنْتَ عَبْدٌ أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ : إِنْ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا  
عَجَّلَ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا أَمْسَكَ ذَنْبَهُ حَتَّى يُوَافِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣) .

يَا قَوْمُ ! قَلُوبُكُمْ عَلَى أَصْلِ الطَّهَارَةِ ، وَإِنَّمَا أَصَابَهَا رَشَاشٌ مِنْ نَجَاسَةِ الذُّنُوبِ ، فَرُشُّوا عَلَيْهَا قَلِيلًا  
مِنْ دَمْعِ الْعُيُونِ ، وَقَدْ طَهَّرْتُمْ

اعْرِزُوا عَلَى فِطَامِ النَّفُوسِ عَنْ رِضَاعِ الْهَوَى ، فَالْحَمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ (٤) .

مَتَى طَالَبْتَكُمْ بِمَأْلُوفَاتِهَا ، فَقُولُوا لَهَا ، كَمَا قَالَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ ، الَّذِي دُمِيَ وَجْهُهُ قَدْ  
أَذْهَبَ اللَّهُ بِالشَّرْكِ وَجَاءَ بِالْإِسْلَامِ ، وَالْإِسْلَامُ يَقْتَضِي الْأَسْتِسْلَامَ وَالْإِنْقِيَادَ لِلطَّاعَةِ

٢ - أخرجه الحاكم في المستدرک ٤/ ٣٢٠ بزيادة (ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم] . وقال الذهبي: [إسحاق ومقاتل ليسا بتقنين ولا صادقين] . والخطيب البغدادي في تاريخه ٩ ٧٣  
بلفظ: [وهمه الدنيا] . وعند الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٥١ بزيادة [ومن أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا] وقال : رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحي، وهو متروك .

٣ - كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ما عدا نسخة (ش) فسقطت كلمة [مطلوب] .

٤ - كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (أ) و (ز) و (ط) وفي نسخة (ش) [ما يصرف قلبي عن هواه عدل] وفي نسخة (س) [ما يصرف عن هوى قلبي عدل] وكذلك نسخة (ع) .



ذَكَرُوهَا مَدْحَةً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ <sup>(١)</sup> (خَطَأً) فَصَلَّتْ لَعَلَّهَا تَحْنٌ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ  
عَرَفُوهَا إِطْلَاعَ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ لَعَلَّهَا تَسْتَحِي مِنْ قُرْبِهِ وَنَظَرَهُ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى  
﴿حَطَأً﴾ قَالَتْ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴾ <sup>(٢)</sup> الْفَجْرِ : ١٤ .

رَأَوْدَ رَجُلٍ امْرَأَةٌ فِي فَلَاةٍ لَيْلًا فَأَبَتْ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يَرَانَا إِلَّا الْكَوَاكِبُ ، قَالَتْ : فَأَيْنَ مَكْوَكِبُهَا ؟  
أَكْرَهُ رَجُلٌ امْرَأَةً عَلَى نَفْسِهَا ، وَأَمْرَهَا بَعْلَقِ الْأَبْوَابِ ، فَفَعَلَتْ ، فَقَالَ لَهَا هَلْ بَقِيَ بَابٌ لَمْ تُعَلِّقْهُ ؟  
قَالَتْ : نَعَمْ ، الْبَابُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ ، فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا .  
رَأَى بَعْضُ الْعَارِفِينَ رَجُلًا يُكَلِّمُ امْرَأَةً ، فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَرَاكُمْ ، سَتَرْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ !  
سُئِلَ الْجَنَيْدُ بِمِ يَسْتَعَانُ عَلَى غَضِّ الْبَصْرِ ؟ قَالَ : بِعِلْمِكَ أَنَّ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظَرِكَ إِلَيَّ مَا  
تَنْظُرُ

وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ : الْمُرَاقَبَةُ عِلْمُ الْقَلْبِ بِقُرْبِ الرَّبِّ  
كَلِمًا قَوِيَّةً الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ قَوِيَّ الْحَيَاءِ [ مِنْ قُرْبِهِ وَنَظَرِهِ ] .  
وَصَّى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا أَنْ يَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ كَمَا يَسْتَحِيَ مِنْ رَجُلٍ صَالِحٍ مِنْ عَشِيرَتِهِ لَا يُفَارِقُهُ .  
قَالَ بَعْضُهُمْ : اسْتَحَ مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدَرِ قُرْبِهِ مِنْكَ ، وَخِيفَ اللَّهُ عَلَى قَدَرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ  
كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا خَطَوْتُ خُطْوَةً لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَكَأَنَّ نَظْرَتِي إِلَى شَيْءٍ أَسْتَحْسِنُهُ  
حَيَاءً مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - :

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي

١ - سورة فصلت آية : ٣٠ .

٢ - سورة الفجر آية : ١٤ .



وَآخِرُ يَرْعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي

فَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَرًا

لَعَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي

وَلَا بَدَرْتُ مِنْ فِيَّ بَعْدَكَ لَفْظَةً

لَعَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ سَمَعَانِي

وَلَا خَطَرْتُ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِكَ خَطْرَةً

عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا عَرَجَا بَعْنَانِي

### فَضَائِلُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ

وَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَهَا فَضَائِلٌ عَظِيمَةٌ لَا يُمَكِّنُ هَاهُنَا اسْتِقْصَاؤُهَا؛ فَلْنَذْكُرْ بَعْضَ مَا وَرَدَ فِيهَا

فَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى ، كَمَا قَالَهُ عُمَرُ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ

وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ ، وَشَهَادَةُ الْحَقِّ وَدَعْوَةُ الْحَقِّ ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ ، وَنَجَاةٌ هَذَا الْأَمْرُ (١)

وَلَأَجْلِهَا خُلِقَ الْخَلْقُ .

١ - كذا وقع في مخطوطتنا، وفي بعض النسخ المطبوعة [لما سوى] وفي بعضها الآخر [سوى] .



كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ <sup>(١)</sup> الذَّرِّيَّاتُ : ٥٦ .

وَلِأَجْلِهَا أُرْسِلَتْ الرُّسُلُ وَأُنزِلَتْ الْكُتُبُ ، <sup>(٢)</sup> قَالَ - تَعَالَى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ <sup>(٣)</sup> الْأَنْبِيَاءُ : ٢٥ وَقَالَ - تَعَالَى - ﴿ يُنزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ

مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ <sup>(٤)</sup> النَّحْلُ : ٢ .

وَهَذِهِ الْآيَةُ أَوَّلُ مَا عَدَّدَ [ عَلَى عِبَادِهِ ] <sup>(٥)</sup> مِنَ النَّعَمِ فِي سُورَةِ النَّعَمِ الَّتِي تُسَمَّى سُورَةَ النَّحْلِ ،

وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : مَا أَنْعَمَ اللَّهُ [ عَلَى الْعِبَادِ ] <sup>(٦)</sup> نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِنَّ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ لِلْأَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْمَاءِ الْبَارِدِ لِلْأَهْلِ الدُّنْيَا؛ وَلِأَجْلِهَا أُعِدَّتْ دَارُ الثَّوَابِ وَدَارُ الْعِقَابِ ، [ فِي الْآخِرَةِ ]

(٧)

[ فَمَنْ قَالَهَا وَمَاتَ عَلَيْهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ دَارِ الثَّوَابِ ، وَمَنْ رَدَّهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِقَابِ ] <sup>(٨)</sup> .

وَمِنْ أَجْلِهَا أُمِرَتْ الرُّسُلُ بِالْجِهَادِ ، فَمَنْ قَالَهَا عَصِمَ مَالُهُ وَدَمُّهُ ، وَمَنْ أَبَاهَا فَمَالُهُ وَدَمُّهُ [ هَدْرٌ ] <sup>(٩)</sup>

١ - سورة الذاريات آية : ٥٦ .

٢ - كذا وقع في مخطوطتنا وكل النسخ المطبوعة ماعدا نسخة (ش) [صدقه] .

٣ - سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

٤ - سورة النحل آية : ٢ .

٥ - فإن مدار النجاة في الدنيا والآخرة على الصدق ، كما بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للذي جاءه يسأله عن أركان الإسلام وفرائضه فقال للرسول : لا أزيد على ذلك ولا أنقص .

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " أفلح إن صدق " والحديث في البخاري في كتاب الإيمان / باب الزكاة من الإسلام / ١٧١ .

٦ - كما قيل لأهل بدر لما نالوا محبة الله - عز وجل - ولا يفهم من ذلك إباحة فعل الكفر والشرك في حقهم ؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به [ فاعمل ما شئت ] محمول على ما دون الكفر

والشرك ، وأن الله - عز وجل - يعصمهم من الوقوع في ذلك .

- ٧

٨ - وهذا صحيح؛ لأن الله - عز وجل - إذا أحب العبد وفقه لكثير من الطاعات ، وأعانته على فعل الخيرات ، فإذا زلَّ في معصية وفقه الله أيضا للتوبة النصوح ، ودلَّ الله وأنكسر ، وخضع

لله ما يجعله في حال أفضل مما كان عليه قبل المعصية . قال العلامة ابن القيم في كتابه الوابل الصيب ص ٢٠ : [ فإذا أراد الله بعبد خيرا فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل

والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ، ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما يكون تلك السببية به سبب رحمته حتى يقول عدو الله : يا ليتني تركته ولم أوقعه .

وهذا معنى قول بعض السلف : " إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ، ويعمل الحسنة يدخل بها النار " . قالوا : كيف ؟ قال : " يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفا منه مشفقا وجلا باكيا

نادما مستحيا من ربه تعالى ، ناكس الرأس بين يديه ، منكسر القلب له . فيكون ذلك الذنب سببا لسعادة العبد وفلاحه ، حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة ] ا.هـ .

٩ - لم أقف عليه .



وَهِيَ مِفْتَاحُ دَعْوَةِ الرَّسُلِ ، وَبِهَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى كِفَاحًا .

وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّارِ وَغَيْرِهِ عَنْ عِيَّاضِ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ إِنَّ لَنَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ ﴾ [ حَقٌّ ]  
(١) عَلَى اللَّهِ كَرِيمَةٌ ، وَلَهَا مِنْ اللَّهِ مَكَانٌ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ [ جُمِعَتْ وَشُرِكَتْ ] (٢) فَمَنْ قَالَهَا صَادِقًا  
أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا : أَحْرَزَتْ مَالَهُ ، وَحَقَّقَتْ دَمَهُ ، وَلَقِيَ اللَّهَ فَحَاسَبَهُ ﴿ (٣) وَهِيَ  
مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ (٤) كَمَا تَقَدَّمَ .

وَهِيَ : ثَمَنُ الْجَنَّةِ (٥) قَالَهُ الْحَسَنُ . وَجَاءَ مَرْفُوعًا مِنْ وُجُوهِ ضَعِيفَةٍ :

﴿ مَنْ كَانَتْ آخِرَ كَلَامِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ (٦) .

وَهِيَ : نَجَاةٌ مِنَ النَّارِ .

﴿ وَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ مُؤَذِّنًا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ خَرَجَ مِنَ النَّارِ ﴾ خَرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧)

١ - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب / باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، رقم (٤٥٧٥) (٥٣) .

٢ - أخرجه أحمد في مسنده ٨٧/٤ وابن حبان رقم (٢٤٥٥) موارد، والحاكم في المستدرک ١٤٩ و ٧٦،٣٧٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وأبو يعلى في مسنده بدون ذكر القصة رقم (٤٢٥٢).

٣ - الحمية: الإقلال من الطعام والإقلال من الذنوب، ومن كل ما يضر فهو أساس الدواء ورأسه.

٤ - كذا في مخطوطتنا وبعض النسخ وسقط من نسخة (س) و (ع) .

٥ - عن سعيد بن زيد أنه سمع أبا الجذ يقول : إن رجلاً قال لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- : أوصني : قال :أوصيك أن تستحي الله - عز وجل- كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك أخرجه أحمد في كتاب الزهد ص ٥٩. قال الهيثمي في المجمع ٢٨٧/١٠ رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

٦ - قال الإمام العلامة ابن القيم في كتابه "طريق الهجرتين" ص ٢٩٧، ٢٩٦ : [فحقيق لمن نصح نفسه، وأحب سعادتها ونجاتها، أن يتيقظ لهذه المسألة ، علماً وعملاً وحالاً. وتكون أهم الأشياء عنده، وأجل علومه وأعماله. فإن الشأن كله فيها . والمدار عليها . والسؤال يوم القيامة عنها، قال تعالى : { فوريك لئلا تنسوا نعم الله عليكم . وما كنتم تعلمون } . وقال أبو السلف : هو عن قول "لا اله إلا الله". وهذا حق ، فإن السؤال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها واجباتها ولوازمها . فلا يُسأل أحد قط إلا عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها. وقال أبو العالية : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فالسؤال عماذا كانوا يعبدون ، هو السؤال عنها نفسها، والسؤال عما أجابوا المرسلين ، سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها : هل سلكوها وأجابوا الرسل لَمَّا دَعَوْهُمَ إِلَيْهَا ، فعاد السؤال كله إليها. وأمرٌ هذا شأنه حقيقٌ بأن تتعقد عليه الخناصر وبعض عليه بالنواجذ ويقبض فيه علي الخمر ، ولا يؤخذ بأطراف الأثام، ولا يُطلب على فضلة. بل يُجعل هو المطلب الأعظم ، وما سواه إنما يُطلب على الفضيلة .. والله الموفق ، لا إله غيره ولا رب سواه] ١.هـ.

٧ - قال العلامة صديق حسن خان في كتابه "الدين الخالص" ١/١٨٧ : [لا إله إلا الله هي العروة الوثقى وكلمة الله العليا ، وهي الحنيفية السمحة السهلة البيضاء ، وهي ملة أبينا إبراهيم - عليه السلام - سيد الموحدين وإمام المتقين ، وخليق رب العالمين ، وهي التي جعلها كلمة باقية في عقبه إلي يوم الدين ، وهي التي لأجلها والتأهل بها خلقت المخلوقات ، وبها قامت الأرضون السبع والسموات وبها نطقت الموجودات ، ولأجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل . قال تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } ، { وإن من شيء إلا يسبح بحمده } . وقال تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } . المراد اعتقاد معنى هذه الكلمة الإلهية والجملة القدوسية بالقلب السليم عن الشرك السقيم . وأما التلطف بها باللسان مع الجهل بمزادها والعمل بمقتضاها ، فليس من إخلاص التوحيد في صدر ولا ورد . ولا ينفع ذلك نفعاً ولا يغني عن عذاب الله شيئاً ولا يكشف ضرراً ] انتهى .





وَهِيَ : تُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ :

فِي الْمُسْنَدِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمًا : ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً ، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ! اللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا ، وَوَعَدْتَنِي الْجَنَّةَ عَلَيْهَا ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ، ثُمَّ قَالَ : أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ ﴿ (١)

وَهِيَ : أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ :

قَالَ أَبُو ذَرٍّ : ﴿ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! عَلَّمَنِي عَمَلًا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ : إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ حَسَنَةً ، فَإِنَّهَا عَشْرُ أَمْثَالِهَا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ ؟ قَالَ هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ ﴿ (٢)

وَهِيَ : تَمْحُو الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا :

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تَتْرُكُ ذَنْبًا ، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ﴾ (٣)

رُئِيَ بَعْضُ السَّلَفِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : مَا أَبَقْتُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَيْئًا .

وَهِيَ : تُجَدِّدُ مَا دُرِسَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ :

وَفِي الْمُسْنَدِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : ﴿ جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا ؟ قَالَ : قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٤)

وَهِيَ الَّتِي لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ فِي الْوِزْنِ ، فَلَوْ وُزِنَتْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ رَجَحَتْ بِهِنَّ .

١ - سقطت من بعض النسخ .

٢ - في بعض النسخ [ على عبد من العباد ] .

٣ - سقطت من جميع النسخ .

٤ - كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (ش) وسقط من باقي النسخ .



كَمَا فِي الْمُسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ أَنْ نُوحَا قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ فِي حَلْقَةٍ مُبْهَمَةٍ قَصَمْتَهُنَّ <sup>(١)</sup> لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ <sup>(٢)</sup> .

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو <sup>(٣)</sup> عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ أَنْ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَالَ : يَا رَبُّ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : يَا مُوسَى ! قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : يَا رَبُّ ! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا . قَالَ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصُنِي بِهِ . قَالَ : يَا مُوسَى ! لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ <sup>(٤)</sup> .

وَلِذَلِكَ تَرَجَّحُ بِصَحَائِفِ الذُّنُوبِ ، كَمَا فِي حَدِيثِ السَّجَّلَاتِ وَالْبَطَاقَةِ ، وَقَدْ خَرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتَّنَسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ <sup>(٥)</sup> وَهِيَ الَّتِي تَخْرِقُ الْحُجُبَ كُلَّهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ وَعَجَلٌ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ ، حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِ <sup>(٦)</sup> .

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ مَا قَالَ عَبْدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ مَا أُجْتَنِبَتْ الْكِبَائِرُ <sup>(٧)</sup> .

١ - في نسخة (س) ، (ع) [ حلال ] .

٢ - سقطت من نسخة (س) ، (ع) .

٣ - كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (ش) وسقطت من باقي النسخ .

٤ - قال البيهقي في المجمع ١/ ٣١ رواه البزار ورجاله موثقون إن كان تابعيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود .

٥ - تقدم ص ٤١ .

٦ - قال الشيخ أسامة عبد العظيم في حاشيته رسالة كلمة الإخلاص ص ٤٥ . وإنما تكون ثمن الجنة عند الوفاء بحقها والالتزام بحقوقها والارتباط بحدودها والقيام بواجباتها لا بمجرد النطق بها فحسب .

٧ - أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٣/٥ ، ٢٤٧ بلفظ " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة " . وأبو داود بلفظ [دخل الجنة] في كتاب الجنائز / باب في المتقين رقم (٣١١٦) والحاكم في مستدرکه ٥١١ ، ٥٠٠ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .



وَيُرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا : ﴿ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ، إِلَّا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَمَا أَنَّ شَفَتَيْكَ لَا تَحْجُبُهَا ﴾ (١) كَذَلِكَ لَا يَحْجُبُهَا شَيْءٌ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ وَعَجَلًا (٢) .  
وَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ : مَا مِنْ عَبْدٍ يَهْلُلُ تَهْلِيلَةً فَيَنْهِنُهَا شَيْءٌ دُونَ الْعَرْشِ وَهِيَ الَّتِي يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهَا قَائِلًا ، وَيُجِيبُ دُعَاهُ .

خَرَجَ النَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنْ حَدِيثِ رَجُلَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصًا بِهَا رُوحَهُ ، مُصَدِّقًا بِهَا قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ، إِلَّا فَتَقَ اللَّهُ لَهُ السَّمَاءَ ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَحَقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ ﴾ (٣)  
وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُصَدِّقُ اللَّهُ قَائِلَهَا .

كَمَا خَرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ صَدَقَهُ رَبُّهُ ، وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ يَقُولُ اللَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي ﴾ (٤) وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَالَ اللَّهُ : لَا

١ - عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يغير إذا طلع الفجر . وكان يستمع الأذان . فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار . فسمع رجلاً يقول : الله أكبر . الله أكبر : فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " على الفطرة " ثم قال ، أشهد أن لا إله إلا الله . أشهد أن لا إله إلا الله . فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " خرجت من النار " فظنوا فإذا هو راعي معزى . أخرجه مسلم في كتاب الصلاة / باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان رقم (٣٨٢) . قال الشيخ صالح بن عبد العزيز من محمد آل الشيخ : [ فقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمن قال : الله أكبر . : "على الفطرة " . أفاد فائدة . وهي : أن هذا القول وما يدل عليه من توحيد الربوبية ، هو في الفطر مستقرٌ ، ولذا لم يحكم بنجاته من النار وإسلامه إلا بقوله : أشهد أن لا إله إلا الله . شهادة متضمنة نفي كل معبود سوى الله . وهو توحيد الألوهية . ودلالة هذا ظاهرة] من كتاب " هذه مفاهيمنا " ص ١١٣ .  
٢ - عن يعلى بن شداد قال : حدثني أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقته قال : كنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : " هل فيكم غريب " يعني أهل الكتاب . فقلنا : لا يا رسول الله . فأمر بغلق الباب وقال : " ارفعوا أيديكم " وذكر الحديث . أخرجه أحمد في مسنده ١٢٤/٤ . والحاكم في المستدرک ٥٠١/١ وقال : حال إسماعيل بن عياش يقرب من الحديث قبل هذا . فإنه أحد أئمة أهل الشام . وقد نسب إلي سوء الحفظ ، وأنا على شرطي في أمثاله . وقال الذهبي في التلخيص : راشد ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه دحيم . وقال الهيثمي في المجمع ٢٤/١ : رواه أحمد والطبراني والبخاري وموتقون . وقال أيضاً في ٨٤/١٠ : رواه أحمد ، وفيه راشد بن داود ، وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف ، وبقي رجاله ثقات . وقال الألباني في حاشية كتاب كلمة الإخلاص ص ٥٥ : وفي سنده ضعف وحسنه المنذري .  
٣ - أخرجه أحمد في المسند ١٦٩/٥ وهناد السري في كتاب الزهد ، رقم (١٠٧١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٤/١٠ : رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدث به عن أشياخه عن أبي زر ، ولم يسم أحداً منهم . وحسنه الألباني .  
٤ - أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل لا إله إلا الله ، رقم (٣٧٩٧) وفي الزوائد : في إسناده زكريا بن منظور ، وهو ضعيف . أفاده محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله .



إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، قَالَ اللَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، لِي الْمُلْكُ ، وَلِي الْحَمْدُ . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي . وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تُطْعَمْهُ النَّارُ ﴿ (١) .

وَهِيَ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّونَ ، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي دُعَاءِ عَرَفَةَ (٢) وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ .

كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ الْمَرْفُوعِ : ﴿ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٣) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَحَبُّ كَلِمَةٍ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى- لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا إِلَّا بِهَا (٤) .

كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ﴿ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِي عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾ (٥) .

١ - أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٩ والحاكم ٤/ ٢٥٦ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الحافظ الذهبي في التلخيص بقوله : صدقة ضعفه . وقال الحافظ الهيثمي في المجمع ٨٥/١٠ رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات .

٢ - كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (ش) وفي باقي النسخ [ فصمتين ] .

٣ - كذا وقع في مخطوطتنا مختصراً . والحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٠ ، ٢٢٥ وفي الزهد ص ٦٧ والحاكم في المستدرک ١/ ٤٩ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه للصعب بن زهير فإنه ثقة قليل الحديث . وقال الذهبي : صحيح الإسناد والصعب ثقة ورواه ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلأ . وقال الهيثمي في المجمع ٨٧/١٠ : رواه البزار وفيه محمد بن إسحاق ، وهو مدلس ، وهو ثقة . وبقية رجاله رجال الصحيح .

٤ - كذا وقع في مخطوطتنا عزو الحديث في المسند وإلى عبد الله بن عمرو . قال الألباني -حفظه الله- : [ يعني المسند وعزوه إليه خطأ كما أن عزوه إلى حديث عبد الله بن عمرو خطأ، وإنما هو من حديث أبي سعيد الخدري ] أ . هـ .

٥ - أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم (١٣٩٣) وابن حبان رقم (٢٣٢٤) كما في موارد الظمان ، والحاكم في المستدرک ١/ ٥٢٨ ، ٥٢٩ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٥/١٠ : رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف .



وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ مِنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَدِدِ إِسْمَاعِيلَ ﴾ (١)

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا : ﴿ مَنْ قَالَهَا إِذَا دَخَلَ السُّوقَ ، وَزَادَ فِيهَا : يُحْيِي وَيُمِيتُ كِتَابَ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمُحِي عَنْهُ أَلْفُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ دَرَجَةٍ ﴾ (٢)

وَفِي رِوَايَةٍ : ﴿ وَبُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ ﴾ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا أَمَانٌ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ الْحَشْرِ :

١ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رعوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتتكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عنز ؟ فيقول : لا يا رب . بلى إن لك عندنا حسنة . فإنه لا ظلم عليك اليوم . فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فيقول : احضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تطلم . قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء . هذا الحديث العظيم الجليل أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢١٣/٢ والترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، رقم (٢٦٣٩) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . وابن ماجه في كتاب الزهد / باب ما يُرَجَى من رحمة الله يوم القيامة رقم (٤٣٠٠) والحاكم في المستدرک ١ / ٦ ، ٥٢٩ وقال : هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين ، وهو صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . ظن البعض وفهم من هذا الحديث أن مجرد القول فقط يكفي للنجاة من النار والفوز بالجنان ، وقالوا : إن هذا الرجل لم يلق الله إلا بكلمة التوحيد . وهذا ثمره فهم النصوص مُقَطَّعة مُجَزَّأة ، كل نص على حدة ، وضربوا كلام الله وكلام رسوله بعضه بعضاً ، وخالفوا ما عليه سلف هذه الأمة في مسألة الإيمان من أنها قول وعمل . وماذا يقال في المنافقين الذين كرهوا ما أنزل الله وهم يقولون : لا إله إلا الله ؟ وماذا يقال فيمن يسبون الله ورسوله ، ويحاربون الله ورسوله والمؤمنين ليل نهار ، وهم يقولون : لا إله إلا الله؟ وماذا يقال في قول أهل السنة : إن الإيمان قول وعمل [ قال الحميدي : سمعت وكيعاً يقول : أهل السنة يقولون : الإيمان قول وعمل والمرجئة يقولون : الإيمان قول . والجهمية يقولون : الإيمان المعرفة . وفي رواية أخرى عنه . وهذا كفر ] "الإيمان" لابن تيمية ص ٢٦٤ . وقال سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان . [ قول وعمل ونية وسنة ؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر ، وإذا كان قولاً وعمل بلا نية فهو نفاق . وإذا كان قولاً وعمل بلا سنة فهو بدعة ] ابن تيمية كتاب "الإيمان" ص ١٤٧ . قال الحافظ في الفتح : [ وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة ، وروي بسنده الصحيح عن البخاري قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء من الأمصار ، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص . وأظن ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين ، وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين . وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة . وقال الحاكم في مناقب الشافعي : حدثنا أبو العباس الأصبغ ، أنا الربيع ، قال : سمعت الشافعي يقول : "الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص" . وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد : يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ] انتهى من "فتح الباري" ٤٠/١ . وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبا زرعة - رضی الله عنهما - عن مذاهب أهل السنة . وما أدركنا عليه العلماء في جميع الأمصار . وما يعتقدان في ذلك ؟ فقالا : "أدركنا العلماء في جميع الأمصار . حجازاً وعراقاً ومصرًا وشاماً ويمناً . فكان من مذاهبهم : أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص" . عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة الرازي ص ٣٧ ، ٣٨ . وقال أبو زرعة - رحمه الله تعالى - [ الإيمان عندنا قول وعمل . يزيد وينقص . ومن قال غير ذلك فهو مبتدع مرجئ ] المصدر السابق ص ١٥٠ . فوجب فهم هذا النص وغيره ضمن أطر الشريعة حتى تأخذ النصوص بحُجْر بعضها البعض ، فلا تتمزق الشريعة أشلاء متناثرة ، كل يأخذ بحظه وما تهواه نفسه ، ويكون فينا نصيب من قوله تعالى { الذين جعلوا القرآن عضين } .

٢ - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات رقم (٣٥١٨) وضعفه بقوله : هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي .



كَمَا فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحِشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نَشُورِهِمْ ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَدْ قَامُوا يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ ، وَيَقُولُونَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ] فَاطِرٌ : ٣٤ [ ﴾ (١)

وَفِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ : ﴿ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَأُنْسًا مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ ، وَاسْتَجَلَبَ بِهِ الْغِنَى ، وَاسْتَقْرَعَ بِهِ بَابَ الْجَنَّةِ . ﴾ وَهِيَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا مِنَ الْقُبُورِ :

قَالَ النَّضْرُ بْنُ عَرَبِيٍّ : بَلَّغَنِي أَنَّ النَّاسَ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ كَانَ شِعَارُهُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَقَدْ حَرَّجَ الطَّبْرَانِيُّ حَدِيثًا مَرْفُوعًا : ﴿ إِنْ شِعَارَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الصِّرَاطِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾ (٢) وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا تَفْتَحُ لِقَائِلِهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ :

يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ . كَمَا فِي حَدِيثِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَنْ أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ بَعْدَ الْوُضُوءِ ، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ (٣)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ فَتَحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ﴾ (٤)

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ مَنَامِهِ الطَّوِيلِ ، وَفِيهِ قَالَ : ﴿ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَأَغْلَقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَفَتَحَتْ لَهُ الْأَبْوَابَ ، وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ﴾ (٥)

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّ أَهْلَهَا وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ بِتَقْصِيرٍ فِي حُقُوقِهَا فَإِنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا :

١ - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات / باب دعاء أم سلمة، رقم (٣٥٩٠) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

٢ - كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ما عدا نسخة (ط) فوقع فيها [ تحجبها ] ولعله تصحيف .

٣ - لم أقف عليه .

٤ - أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٨) .

٥ - كذا وقع في مخطوطتنا، وسقط من جميع النسخ المطبوعة .



وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ قَالَ اللَّهُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي ، لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (١)

وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ إِنَّ أَنْاسًا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ اللَّاتِ وَالْعُزَّى مَا أَغْنَى عَنْكُمْ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَعْضَبُ اللَّهُ لَهُمْ فَيُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ (٢)

وَمَنْ كَانَ فِي سُخْطِهِ مُحْسِنًا فَكَيْفَ يَكُونُ إِذَا مَا رَضِيَ ، لَا يُسَوِّي بَيْنَ مَنْ وَحَدَهُ ، وَإِنْ قَصَرَ فِي حُقُوقِ تَوْحِيدِهِ وَبَيْنَ مَنْ أَشْرَكَ بِهِ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تُشْرِكْ مَنْ كَانَ يُشْرِكُ بِكَ بِمَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِكَ .

كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ عَنْ أَهْلِ النَّارِ إِنَّهُمْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ [ النَّحْلُ : ٣٨ ] . وَنَحْنُ نُقَسِّمُ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِنَا : لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ، اللَّهُمَّ لَا تَجْمَعْ بَيْنَ أَهْلِ الْقَسَمَيْنِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ .

كَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ يَقُولُ : إِنْ طَالَبَنِي بِبُخْلِي طَالَبْتُهُ بِجُودِهِ . وَإِنْ طَالَبَنِي بِذُنُوبِي طَالَبْتُهُ بِعَفْوِهِ ، وَإِنْ أَدْخَلَنِي النَّارَ أَحْبَبْتُ أَهْلَ النَّارِ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّهُ .

## مَا أَطِيبَ وَصْلُهُ وَمَا أَغْدَبَهُ

١ - أخرججه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٣٠) و(٣١) . والحاكم في المستدرک ٥/١ وقال : هذا حديث صحيح لم يُخَرِّجْ في الصحيحين وقال الذهبي في التلخيص : أوقفه شعبة وغيره . وابن حبان رقم (٢٣٢٥) موارد، وأبو يعلى بلفظ قريب منه رقم (٦١٥٣) و(٦١٥٤) و(٦١٦٣) . وابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل لا إله إلا الله رقم (٣٧٩٤) والترمذي في كتاب الدعوات / باب ما يقول العبد إذا مرض، رقم (٣٤٣٠) وقال : هذا حديث حسن غريب .

٢ - أخرججه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الحج / باب جامع الحج، رقم (٢٤٦) قال ابن عبد البر : لا خلاف عن مالك في إرساله . أفاده محمد فؤاد عبد الباقي - رحمه الله - والترمذي في كتاب الدعوات / باب في دعاء يوم عرفة رقم (٣٥٨٥) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه . والحديث حسن بالشواهد .



وَمَا أَثْقَلَ هَجْرَهُ وَمَا أَصْعَبَهُ

فِي السُّخْطِ وَفِي الرِّضَى مَا أَهْيَبُهُ!

أَلْقَلْبُ يُحِبُّهُ وَإِنْ عَذَّبَهُ!

وَكَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَبْكِي طُولَ لَيْلِهِ ، وَيَقُولُ : إِنْ تُعَذَّبْتَنِي فَإِنِّي لَكَ مُحِبٌّ ، وَإِنْ تَرَحَّمْتَنِي فَإِنِّي لَكَ مُحِبٌّ! الْعَارِفُونَ يَخَافُونَ مِنَ الْحِجَابِ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُونَ مِنَ الْعَذَابِ .  
قَالَ ذُو النُّونِ : خَوْفُ النَّارِ عِنْدَ خَوْفِ الْفِرَاقِ كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرِ لُجِّي  
كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ ! لَوْ عَذَّبْتَنِي بِعَذَابِكَ كُلِّهِ ، كَانَ مَا فَاتَنِي مِنْ قُرْبِكَ  
أَعْظَمَ عِنْدِي مِنَ الْعَذَابِ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لَوْ طَرَدَكَ مَا كُنْتَ تَفْعَلُ ؟. فَقَالَ :

أَنَا إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنَ الْحُبِّ وَصَالًا رُمْتُ فِي النَّارِ مَنزِلًا وَمَقِيلًا  
ثُمَّ أَزْعَجْتُ أَهْلَهَا بِنِدَائِي بُكْرَةً فِي عَرَصَاتِهَا وَأَصِيلًا  
مَعَشَرَ الْمُشْرِكِينَ نُوحُوا عَلَيَّ مَنْ يَدْعِي أَنَّهُ يُحِبُّ الْجَلِيلَا  
لَمْ يَكُنْ فِي الَّذِي ادَّعَاهُ مُحَقًّا فَجَزَاهُ بِهِ الْعَذَابَ الطَّوِيلَا!

اللَّهُ اللَّهُ! أَيُّهَا النَّاسُ تَمَسَّكُوا بِأَصْلِ دِينِكُمْ





اجْتَهَدُوا الْيَوْمَ فِي تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ ، فَإِنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَى اللَّهِ سِوَاهُ ، وَاحْرِصُوا عَلَى الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُنَجِّي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَّا إِيَّاهُ (١) .

مَا نَطَقَ النَّاطِقُونَ إِذْ نَطَقُوا      أَحْسَنَ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
تَبَارَكَ ذُو الْجَلَالِ وَمِنْ      أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
مَنْ لَدُنُوبِي وَمَنْ يُمَحِّصُهَا      غَيْرُكَ يَا مَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
جِنَانٌ خُلِدَ لِمَنْ يُوحِّدُهُ      أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
نِيرَانُهُ لَا تُحْرِقُ مَنْ      [حَقَّقَ] (٢) أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
أَقُولُهَا مَخْلَصًا بَلَا بُخْلٍ      أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

آخِرُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

١ - أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات / باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة رقم (٣٣٨٣) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم . وابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل الحامدين رقم (٣٨٠٠) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٣٢٦) . والحاكم في المستدرک ١/ ٤٩٨ ، ٥٠٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

٢ - كذا وقع في مخطوطتنا ، وفي باقي النسخ [أحب كلمة إلى الله - تعالى - لا إله إلا الله ....] .